القسم الأول

(٥) العنوان من عندنا .

مدخـل

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

قال القاضى أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد ، رحمه الله تعالى :

اعلم أن الناس فى مشارق الأرض ومغاربها وجنوبها وشمالها – وإن كانوا نوعًا واحدًا ، فإنهم يتميزون بثلاثة أشياء : الأخلاق والصور واللغات .

الباب الأول

الأمم القديمة

وزعم من عنى بأخبار الأمم ، وبحث عن سائر الأجيال ، وحقق عن طبقات القرون أن الناس كانوا فى سالف الدهور ، وقبل تشعب القبائل واختراق اللغات سبع أمم[١] :

الأمة الأولى : الفرس ، وكان مسكنها فى الوسط المعمور ، وحد من الجبال التى فى شمال العراق المتصل بعقبة حلوان الذى فيه الماهان[٢] والكرخ والدينور وهمذان وقم وغيرها من البلاد إلى أرمينية ، والباب[٣] المتصل ببحر الخزر وأذربيجان وَطَبَرِسْتان ومُولقان والبيلقان والشابران والرى والطالقان وجرجان إلى بلاد خراسان كنيسابور والمرو وسرخس وهراة وخوارزم وبلخ وبخارى وسمرقند وفرغانة والشاش وغيرها من بلاد خراسان إلى بلاد سجستان ، وكرمان وفارس والأهواز وأصبهان وما يتصل بها[٤] .

كل هذه البلاد كانت مملكة واحدة ، ملكها واحد ، ولسانها واحد فارسى ، إلا أنهم كانوا يتباينون فى شىء يسير من اللغات ، ويجتمعون فى عدد الحروف وصورة تأليفها ، ويخرجهم اختلافهم بعد ذلك فى سائر الأشياء من تلك اللغة كالفهلوية والترتدية وغيرها من لغات فارس[٥] (ص ٣ من المخطوط) .

الأمة الثانية : الكلدانيون ، وهم السريان والبابليون ، وكانوا شعوبًا منهم الكوفابيون[٦] (كذا) والأثوريون[٧] أهل سواد العراق ، وكانت بلادهم فى وسط المعمور ، وهى

---

(١) أخذ صاعد تقسيم الأمم القديمة إلى سبع أمم من اليونان ، وعنه أخذ ذلك المسعودى فى كتابه التنبيه والاشراف ص ٧٧ و ٧٩ و ٨٣ و ٨٤ .

(٢) الماهان ولايتان هما ماه الكوفة وماه البصرة .

(٣) المراد هنا باب الدربند ، وهو ممر جبلى فى جبال زاغروس .

(٤) عن كل المواضع التى ذكرها صاعد هنا انظر : The Strange Hands of the Eastern Caliphate.

(٥) فى الأصل فارسون .

(٦) فى الأصل الكوفابيون وأرجو ألا أكون قد أخطأت فى التعديل ، وفى مخطوطة أخرى : الكوثيون وبالفرنسية Les Kutheen ولم أعرف ما هو على وجه الدقة .

(٧) صححه الأشوريون والأرمانيون .

الجزيرة التى ما بين دجلة والفرات المعروفة بديار ربيعة ومضْر والشام وجزيرة العرب التى بين الحجاز ونجد وتهامة والغور ، واليمن كلها ما بين زبيد إلى صنعاء وعدن والفروض ، وكلها واحد ولسانها واحد سريانى ، وهو اللسان القديم لسان آدم عليه السلام وإدريس ونوح وإبراهيم ولوط عليهم السلام وغيرهم .

ثم تفرعت اللغة العبرانية والعربية من اللغة السريانية ، فغلب العبرانيون وهم بنو إسرائيل على الشام فسكنوها ، وغلبت العرب على البلد المعروف بجزيرة العرب المتقدم ذكرها ، وعلى الجزيرة المعروفة اليوم بديار ربيعة ومضر ، فسكنوا جميع ذلك ، وانكمشت بقية السريانيين إلى العراق ، وكان دار مملكتهم العظمى مدينة كلواذى (كلواذو)[1] .

الأمة الثالثة : اليونانيون والروم والإفرنجة والجلالقة والبرجان[2] والصقالبة والروس والبرغز واللان وغيرهم من الأمم التى حول بحر بنطش[3] وبحيرة مانيطش[4] وغيرها من المواضع التى فى الربع الغربى والشمال من معمور الأرض ، كانت مملكتهم ولغتهم واحدة .

والأمة الرابعة : القبط هم أهل مصر وأهل الجنوب ، وهم أصناف السودان من الحبشة والنوبة والزنج ، وغيرهم من أهل المغرب وهم البرابر ومن اتصل بهم إلى بحر أقيانس[5] المحيط بهم ، لغتهم واحدة ومملكتهم واحدة .

والأمة الخامسة : أجناس الترك من الجريجية[6] وكيماك والتغزغر والخزر والسرير وجيلان وخوزان وطيلسان وكُشْكة وبرطاس ، وكانت لغتهم واحدة ومملكتهم واحدة .

الأمة السادسة : الهند والسند ومن اتصل بهم ، لغتهم واحدة وملكهم واحد .

---

(١) كلواذى مدينة كانت تقع جنوب شرقى بغداد، انظر عنها فهرس لوسترنج Le Strange عن بلاد الخلافة الشرقية.

(٢) عن البرجان انظر معجم البلدان لياقوت جـ ٢ ص ٥٤٨ .

(٣) ورد هذا اللفظ محرفا كالعادة بنطس وصحته عند القدماء بنطس ويراد به البحر الأسود .

(٤) وأما بحيرة مانيطس فيراد بها عند القدماء بحر قزوين وباللاتينية Palus neatide وتدخل فى ذلك بحيرة آزوف حاليًا .

(٥) فى الأصل : بحر أقتابس وهو خطأ .

(٦) أجناس الترك من الجريجية والتغزغر هم الإغريق ،ونحن نرى هنا أنه يجعلهم من الأتراك .

والأمة السابعة : الصين ومن اتصل بهم من سكان بلاد عامور بن يافث بن نوح عليه السلام ، مملكتهم واحدة ولغتهم واحدة .

فهذه الأمم السبعة كانت محيطة بجميع البشر ، وكانوا جميعًا صابئة يعبدون الأصنام تمثيلا بالجواهر العلوية والأشخاص الفلكية من الكواكب السبعة وغيرها . ثم افترقت هذه الأمم السبعة وتشعبت لغاتهم وتباينت أديانهم .

البـاب الثـانى

اختلاف الأمم وطبقاتها بالأشغال

قال صاعد : ووجدنا هذه الأمم على كثرة فرقهم وتخالف مذاهبهم طبقتين :

فطبقة : عنيت بالعلم فظهرت منها ضروب العلوم وصدرت عنها فنون المعارف .

وطبقة : لم تعن بالعلم عناية تستحق بها اسمه بعد من امتثله ، فلم ينقل عنها فائدة حكمة ، ولا رويت بها نتيجة فكرة .

فأما الطبقة التى عنيت بالعلوم فثمانية أمم : الهند والفرس والكلدانيون[1] والعبرانيون واليونانيون والروم وأهل مصر والعرب .

وأما الطبقة التى لم تعن بالعلوم فبقية الأمم بعد من ذكرنا من الصين ويأجوج ومأجوج والترك وبرطاس والسرير والخزر وخوران[2] وكُشَكه[3] واللان والصقالبة والبلغر والروس والجرجان وأصناف السودان من الحبشة والنوبة والزنج وغانة وغيرهم .

---

(١) فى الأصل : الكلدانيون والعبرانيون ... إلخ ولا يصح .

(٢) كذا فى الأصل وصحتها جورجان .

(٣) فى الأصل كشك .

البـــاب الثـــالث

الأمم التى لم تعن بالعلوم

وأنبهُ[1] هذه الأمم التى لم تعن بالعلوم الصين والترك ، فأما الصين فأكثر الأمم عددًا وأفخمها مملكة وأوسعها دارًا ، ومساكنهم محيطة بأقصى المشارق المعمورة[2] ، ما بين خط معدل النهار إلى أقصى الأقاليم السبعة فى الشمال ، وحظهم من المعرفة التى بزوا فيها سائر الأمم[3] إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن التصويرية ، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب فى تجويد الأعمال ومقاساة النَّصَب فى تحسين الصنائع .

وأما الترك فأمة كثيرة العدد أيضًا ، فخمة المملكة ، ومساكنهم ما بين مشارق خراسان من مملكة الإسلام (ص ٥ من المخطوط) وبين مغارب الصين وشمال الهند إلى أقصى المعمور الشمالى ، وفضيلتهم التى برعوا فيها وأحرزوا خصلتها ، معاناة الحروب ومعالجة آلامها ، فهم أحذق الناس بالفروسية والثقاف[4] وأبصرهم بالطعن والضرب والرماية .

وأما سائر هذه الطبقة التى لم تعن بالعلوم فهم أشبه بالبهائم منهم بالناس ، لأن من كان منهم موغلا فى بلاد الشمال ما بين آخر الأقاليم السبعة التى هى فى نهاية المعمور فى الشمال ، فأفراط بُعْد الشمس عن مُسَامَتِه رؤوسهم بَرَّدَ هواءهم وكثف جوهم ، فصارت لذلك أمزجتهم باردة وأخلاطهم فجة ، فعظمت أبدانهم وابيضت ألوانهم ، وانسدلت شعورهم ، فعدموا بهذا دقة الأفهام وثقوب الخواطر ، وغلب عليهم الجهل والبلادة ، وفشا فيهم العمى والغباوة كالصقالبة والبرغر ومن اتصل بهم .

ومن كان منهم ساكنًا قريبًا من خط معدل النهار وخلفه إلى نهاية المعمور فى الجنوب فطول مقارنة الشمس لِسَمت رؤوسهم أسخن هواءهم وسخن جوهم ، فصارت لذلك

---

(١) يمكن أيضًا أن تكون وأنسب ، وهكذا قرأها لويس شيخو وترجمها بلاشير هكذا : les plus nobles ولا معنى للنسب هنا فأخذنا بهذه الصورة التى ترد فى نسخة « ص » ، وانظر دوزى ، قاموس ٢٦٨/١ والجاحظ ، مقالة فى الترك .

(٢) فى الأصل :المعمور .

(٣) قرأها شيخو : يدور فيها مناجذ الأمم ولا معنى له .

(٤) قرأها الأب لويس شيخو : الثقافة ، ولكن ما أوردته فى النص وهو الثقاف هو الصحيح والمراد به المبارزة بالسيف .

حارة وأخلاطهم محرقة ، فاسودت ألوانهم ، وتفلفلت شعورهم ، فعدموا بهذا رجاحة الأحلام وثبوت البصائر وغلب عليهم الطيش ، وفشا فيهم النوك والجهل ، مثل من كان من السودان ساكناً بأقصى بلاد الحبشة .

وأما **الجلالقة والبربر** وسائر سكان أكناف المغرب من هذه الطبقة ، فأمم خصصها الله تعالى بالطغيان والجهل ، وعمها بالعدوان والظلم ، على أنهم لم يوغلوا فى الشمال فتلحقهم آفة البلد ، ولا تمكنوا من الجنوب فتقصر بهم طبيعة الموضع ، بل مساكنهم قريبة من البلاد المعتدلة الهواء .

وأما **الجلالقة** : فمساكنهم فى مغارب بعض الإقليم الخامس وما يتصل به من بعض الإقليم السادس . أما **البربر** فمساكنهم فى مغارب بعض الإقليم الثانى وما يتصل به من الإقليم الثالث (ص ٦ من المخطوط) وبعض الإقليم الرابع ، ولكن الله تعالى يختص برحمته من يشاء ، ويعدل برحمته عمن يشاء .

وأما سائر من لم أذكره بشىء من هذه الطبقة ، فهم أسوة هؤلاء فى الجهل ، وإن اختلفت مراتبهم فيه وتباينت قِسَمُهم منه ، لأنهم أجمعون مشتركون فيما ذكرنا من أنهم لم يستعملوا أفكارهم فى الحكمة ، ولا راضوا أنفسهم بتعلم الفلسفة ، إلا أن جمهورهم مع هذا وهم أهل المدن وخلافهم من أهل البادية لا يخلون حيثما كانوا من مشارق الأرض ومغاربها وجنوبها وشمالها من سياسة ملوكية تضبطهم ، وناموس إلهى يحكمهم ، ولا يشذ عن هذا النظام الإنسانى ، ولا يخرج عن هذا التأليف الأكيف[1] العقلى إلا بعض قطان الصحارى وسكان الفلوات والفيافى ، كرعاع البُجَة وهمج غانة وغثاء الزنج وما أشبههم .

---

(١) وردت هذه العبارة فى الأصل فى صورة مضطربة غير واضحة كايلى : ولا يخرج عن هذا التأليف العقلى إلا بعض قطان الصحارى وسكان الفلوات والفيافى كرعاع البجة وهمج غادة (الأصح هنا : غانة) وغثاء الزنج وما أشبههم ، وقد قومنا هذه العبارة على الشكل الوارد أعلاه ، لكى يكون لها المعنى الذى أراده صاعد ، وعلى هذه الصورة قرأها وترجمها بلاشير ، الترجمة الفرنسية ص ٣٨ .

البَـابُ الرابـع

الأمم التى عُنيت بالعلوم

وأما الطبقة التى عُنيت بالعلوم فهم صفوة الله من خلقه وخلاصته من عباده ، لأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة الصانعة لنوع الإنسان والمقومة لطَبْعِه ، وزهدوا فيما رغب فيه الصين والترك ومن نزع منزعهم من التنافس فى أخلاق النفس الغضبية والتفاخر بالقوى البهيمية ، إذ عَلِمُوا أن البهائم تشركهم فيها وتفضلهم فى كثير منها . وأما فى الصنعة وإحكام التصوير[1] وإتقان التشكيل فكالنحل المحكمة لتشريس مخازن قوتها[2] ، والعنكبوت المتقنة لخيوط بيوتها وتجويد تناسب الدوائر المقاطعة لها وغيرها من البهائم التى ظهرت منها الصنائع العجيبة والأفاعيل الغريبة ، حتى ضربت العرب بها الأمثـال فقالت : « أَصْنَعُ من السُّرْخَة » وهى دودة تكون فى الحمص[3] ويبلغ من صنعهـا أن تصنع بيتًا مربعًا من دقائق العيدان . وقالوا : « أَصْنَعُ من تَنَوُّط »[4] وهو طـائر يبلغ رقته فى صنعه عشه متدنيا من الشجرة ، وأمـا فى الجرأة والشجاعة (ص ٧ من المخطوط) فكالأسد والنمر وغيرهما من السباع التى تغاضى الإنسان إقدامهـا ولا يدعـى بسالتها[5] ، وكذلك أيضًا سائر القوى الحيوانية من الجود والبخل وغيرهما ، فإن بعـض البهـائم فيها مزية على الإنسان ، وكذلك ضربت العرب الأمثال فقالت : أَنْخَى من ديك[6] ، وأجرأ من ليث ومن ذياب ، وأَخْتَلُ من ذئب ، وأَخْبَث من ثعلب ، ومن ضب ، وأخشع من كلب ، وأظلم من

---

(١) فى الأصل التصور .

(٢) فى الأصل :فكل النحل المحكمة لتشريس ، وقد قومها لويس شيخو على النحو الوارد أعلاه ، وأخذنا نحن هذا التقويم منه .

(٣) فى نسخة « ل » من الأصل :الحمص .

(٤) فى الأصل : قنوط ، وقد أصلحناها كما أصلحنا ألفاظًا أخرى فى الأمثلة التى سترد بعد ذلك ، أى أن هذا الطائر تصل به المهارة إلى درجة أنه يبنى عشه متدليًا من الشجرة .

(٥) كذا فى الأصل والمراد أنها تفوق الإنسان فى إقدامها فهو لا يدعى بسالتها ، وقد قومت النص على هذا النحو معتمدًا على ترجمة بلاشير ، ولعله وجد لفظ الترك فى إحدى نسخ المخطوط .

(٦) وفى المخطوطة « ص » أسخى من ديك .

حية[1] ، وأكسب من ذرة ومن نملة ومن دب ، وأجبن من نعامة ، وأهدى من قطاة ، وأحذر من عقعق[2] ، وأبخل من كلب ، وألح من الْحَمَى[3] وأجبن من صِفْرَد[4] ، وأروع من ثعلب وأصبر من قَوْد وأحن من ناب[5] .

وكذلك قوى الأجسام وصدق الحواس ، لا ينكر أحد أن حظ بعض البهائم منها أوفر من حظ الإنسان[6] وكذلك قالت العرب فى أمثالها : أبصرُ من عُقاب ومن فرس ، وأصح من ذئب ومن ظليم[7] وأضبط من نملة ، فإنها تحمل النواة وهى أضعافها ، وأسمع من قراد[8] ومن سبع بهما[9] ، وأسمع من دُلْدُل وهو القنفد الضخمة[10] ، وأسمع من فرس ، وسوى هذا مما ضربوا فيه الأمثال بأنواع البهائم .

فهذا الغرض الشريف والمقصد الكريم من حب القوى الإنسانية والكلف بالفضائل البشرية والأنفة من مشاكلة البهائم ، والإبادة من مشابهة السباع[11] ، وكان أهل العلم مصابيح الدجى وأعلام الهدى وسادة البشر وخيار الأمم الذين فهموا غرض البارى تعالى منهم ، وعرفوا الغاية المنصوبة لهم فصلاة الله عليهم ، ويا وحشة الدنيا لفقدهم .

وإذ قدمنا هذه الطبقة التى عنيت بالعلم ثمانى أمم ، وكان قصدنا التعريف بعلومهم والتنبيه على علمائهم ، فنشرع فى ذلك على حسب ما نذهب إليه من الإيجاز والاختصار إن شاء الله تعالى .

---

(١) ترجم بلاشير : وأظلم من حية على أنها شديدة الخطر .
ويراد بقول صاعد : « أكسب من ذرة » أشد حرصًا من نملة سوداء أو نملة عادية ، وأما القطاة فهى طائر عاقل مدبر ، فهو طائر من الفصيلة الغرابية ورتبة الجوائم وهو صخاب .

(٢) العقعق : هو طائر على شكل الغراب أو هو الغراب نفسه وكانت العرب تتشاءم به .

(٣) والحمَى : طائر اشتهربالحرص .

(٤) والصِّفَرد : هو البلبل .

(٥) والقَوَد : هو الحصان العجوز ، والناب أنثى الجمل العجوز .

(٦) العقاب : طائر من كواسر الطير قوى المخالب ، له منقار قصير أعقف حاد البصر .

(٧) الظليم : هو النعامة .

(٨) فأما القراد فهو حشرة صغيرة ، والسبع قد يكون وليد الضبعة أو بنت آوى .

(٩) كذا فى الأصل وفى مخطوطة « ص » بهما فى غُلَس ، وفى مخطوطة « ل » بينهما ولا معنى للاثنين .

(١٠) فى مخطوطة « ص » الضخم وهو أصح .

(١١) إلى هنا تنتهى الجملة فى الأصل ، وهى كما ترى غير منتهية .

العلم فى الهند

أما الأمة الأولى وهى (الهند) ، فأمة كثيرة القدر عظيمة العدد فخمة الممالك (ص٨ من المخطوط) ، وقد اعترف لها بالحكمة وأقرّ لها بالتبرز فى فنون المعارف جميع الملوك السالفة والقرون الماضية .

وكان[1] ملوك الصين يقولون : إن ملوك الدنيا خمسة وسائر الناس أتباع [لهم][2] فيه ، فيذكرون ملك الصين وملك الهند وملك الترك وملك الفرس وملك الروم .

وكانوا يسمون ملك الصين « ملك الناس » لأن أهل الصين أطوع الناس للمملكة وأشدهم انقيادًا للسياسة . .

وكانوا يسمون ملك الهند «ملك الحكمة» لفرط عنايته بالعلوم وتقدمهم فى جميع المعارف.

وكانوا يسمون ملك الترك « ملك السباع » لشجاعة الترك وشدة بأسهم .

وكانوا يسمون ملك الفرس « ملك الملوك » لفخامة مملكته وجلدتها ونفاسة قدرها وعظيم شأنها ، لأنها فازت على الملوك وسط المعمور من الأرض ، واحتوت دون سائر الملوك على أكرم الأقاليم .

وكانوا يسمون ملك الروم « ملك الرجال » لأن الروم أجمل الناس وجوهًا وأحسنهم أجسامًا وأشدهم أسْرا .

فكان الهند عند جميع الأمم على مر الدهور وتقادم الأزمان أصل الحكمة وينبوعَ العدل والسياسة وأهل الأحلام الراجحة والآراء الفاضلة والأمثال السائرة ، والنتائج الغريبة ، واللطائف العجيبة ، وهم وإن كانت ألوانهم فى أول مراتب السواد فصاروا بذلك من جملة السودان ، فقد جنبهم الله تعالى بذلك سوء أخلاق [ص١٢ من المخطوط] السودان[3] . ودناءة شِيَمِهم وسفاهة أحلامهم ، وفضّلهم على أمم كثيرة من السُّمْر والبيض[4] .

---

(١) الجملة التالية كلها ترجمها Ferrand فى كتابه Les grands Rois du Monde dans le "Bulletin of the School of Oriental Studies", VI, 22 partie, 1931, p. 329 S.V. School of Oriental Studies.

(٢) ورد لفظ « لهم » فى مخطوطة ص وهى غير واردة فى الأصل الذى نعتمد عليه .

(٣) فى الأصل : سوء الأخلاق والسودان وقد أصلحته .

(٤) الكلام من هنا وارد حرفيا فى طبقات الحكماء للقفطى ص ٢٦٥ سطر ١٤ وما يليه حتى ص٢٦٦ ، وهو موجود أيضا فى مروج الذهب للمسعودى جـ١ ص٣١٤ – ٣١٥ ، ويبدو أن صاعدًا هنا نقل عنه أن هذه المعانى كانت تقليدا يتوارد فى الأصول العربية ، ولابد أن المسعودى يورد نفس الكلام فى مواضع أخرى من المروج ، جـ١ ص٣٥٦ – ٣٥٨ مع بعض الخلاف فى النص .

ولبعض أهل العلم بأحكام النجوم فى هذا تعليل ، وذلك أنهم زعموا أن زُحَل وعُطارد يتوليان بالقسمة الطبيعية – الهند ، فلولاية زُحَل لتدبيرهم اسودت ألوانهم ، ولولاية عطارد لذلك خلصت عقولهم ولطفت أذهانهم مع مشاركة زحل فى صحة النظر وبعد الغور فكانوا لهذا حيث هم من صفاء القرائح وسلامة التمييز ، وخالفوا بذلك سائر السودان من الزنج والنوبة والحِبْشان وسواهم ، فلهذا التحقوا بعلم العدد والإحكام ص٩ من المخطوط بصناعة الهندسة ونالوا الحظ الأوفى والقدح المعلى من معرفة حركات النجوم وأسرار الفلك وسائر العلوم الرياضية . وبعد هذا فإنهم أعلم الناس بصناعة الطب وأبصرهم بقدرة الأدوية وطبائع المولدات وخواص الموجودات[١] ولملوكهم السيرة الفاضلة والملكات المحمودة والسياسات الكاملة .

وأما العلم الإلهى فإنهم مجمعون منه على التوحيد لله عز وجل والتنزيه له عن الإشراك به[٢] ، ثم هم مختلفون فى سائر أنواعه ، فمنهم براهمة ، ومنهم صابئة ، فأما البراهمة وهى فرقة قليلة العدد فيهم [إلا أنها] شريفة النسب عندهم ، فمنهم من يقول بحدوث العالم ، ومنهم من يقول بأزله ، إلا أنهم مجمعون على إبطال النبوات وتحريم ذبائح الحيوان والمنع فى[٣] إيلامه .

وأما الصابئة وهم جمهور الهند ومعظمها ، فإنها تقول بأزل العالم وأنه معلول بذات علة العالم التى هى البارى عز وجل ، وتعظيم الكواكب وتصور لها صورًا تمثلها وتتقرب إليها بأنواع القرابين على حسب ما علموا من طبيعة كل كوكب منها ليستحيوا[٤] بذلك قواها ، ويصرحوا فى العالم السفلى على اختلافهم تدابيرها ، ويسمون كل صورة من هذه الصور بأسماء .

---

(١) ترجم لوى بلاشير هذه العبارة بما معناه : أن الهنود أعلم الناس بالخصائص الداخلية للأجسام المركبة وخصائص الموجودات (انظر ص٤٥ أعلى الصفحة) .

(٢) علق لويس شيخو على ذلك بقوله (ص ١٢ من طبعته هامش ٢ : ليس هذا بصحيح ، فإن الشرك شائع فى كل أنحاء الهند ولعله أراد ديانة البوذيين وفيها أيضًا ضروب من التعاليم الكاسدة الممزوجة بالأضاليل الوثنية .

(٣) يريد « من » .

(٤) ورد هذا اللفظ فى المخطوطات بصور مختلفة منها ليستحبوا ، وليستجلبوا ، وقد ترجم لوى بلاشير هذه الجملة كما يلى :"Ils venèrent les astres,: les representant sous des formes à leur resemblence, les: turerendant d'eux.propices par toute sort d'offrandes en rapport avec ceux qu'ils savent de la nature de chacun d'eux .

ولهم[1] فى أزمان البدارة وأدوار الكواكب وأكوارها وفساد جميع المولدات من العناصر الأربعة – عند كل اجتماع يكون للكواكب فى رأس الحمل وفى عودة المولدات فى كل دور – آراء كثيرة، ومذاهب متفرقة على حسب مابيَّنَّا فى كتابنا فى مقالات أهل الملل والنحل .

ولبعد الهند من بلادنا واعتراض الممالك بيننا وبينهم ، قَلَّت عندنا تآليفهم فلم تصل إلينا إلا طُرف من علومهم ، ولا وردت علينا إلا نبذ من مذاهبهم ، ولا سمعنا إلا بالقليل من علمائهم .

فمن مذاهب الهند فى علوم النجوم ، المذاهب الثلاثة المشهورة عنهم ، وهى[2] مذهب السند هند ومذهب الأزجير[3] ومذهب الدركند ، ولم يصل [ص١٠ من المخطوط] إلينا منهم على التحصيل إلا مذهب السند هند ، وهو المذهب الذى تقلده جماعة من علماء الإسلام ، وألفوا فيه الأزياج كمحمد بن إبراهيم الفزارى ، وحنش بن عبد الله البغدادى ، ومحمد بن موسى الخوارزمى ، والحسين بن محمد المعروف بابن الآدمى وغيرهم ، وتفسير « السند هند » « الدهر الداهر »[4] كذلك حكى الحسين بن الآدمى فى زيجه .

ويقول أصحاب « السند هند » إن الكواكب السبعة وأوجاتها وجَوْزَهْرَاتها[5] تجتمع كلها فى رأس الحمل خاصة فى كل أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وعشرين ألف ألف شمسية[6] ، ويسمون هذه المدة مدة العالم ، لأنهم يزعمون أن الكواكب وأوجاتها وجَوْزَهْرَاتها متى اجتمعت فى رأس الحمل فسد جميع المكونات فى الأرض . وبقى العالم السفلى خرابًا دهرًا طويلا حتى تتفرق الكواكب والأوجات والجوزهرات فى البروج ، فإذا كان كذلك بدأ الكون وعادت حالة العالم السفلى إلى الأمر الأول ، هكذا أبدًا إلى غير غاية عندهم .

---

(١) العبارة من هنا إلى نهاية الجملة غير واضحة ، وقد علق لويس شيخو على النص عند قوله : وفى عودة المولدات فى كل دور بقوله « هذا وقد طرأ على الأصل بعض فساد ، وترجمها لوى بلاشير كما هى دون محاولة للتوضيح (انظر ص١٥ من الترجمة الفرنسية) .

(٢) فى الأصل : وهو .

(٣) فى « ص » الأزجهير وفى « ل » الأزجير وأوردها بلاشير فى الترجمة الفرنسية وعلق على ذلك فى الهامش بقوله : وأضاف : أن القراءة الصحيحة أوردها القفطى (فى طبقات الحكماء) .

(٤) الدهر الداهر هو الزمن الذى لا ينتهى .

(٥) ترجم بلاشير الأوج والأوجات بالقمم والجوزهرات بالعقد : Chaque apogèet chaque noed.

(٦) إذا كتبنا هذا الرقم أصبح ٢٠٠٠ ، ٣٠٠٠٠٠ و٤٠٠٠ سنة وأنت ترى أنه ليس رقما ولا يقرأ .

ولكل واحد من الكواكب والأوجات والجوزهرات أدوار ما فى هذه المدة التى هى عندهم مدة العالم . قد ذكرتها فى كتابى المؤلف لإصلاح حركات النجوم[1] .

وأما أصحاب (الأزجير) فإنهم وافقوا أصحاب السند هند إلا [فى] عَدُ مدة العالم فإن من مدتهم التى ذكروها أن الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها تجتمع عندهم فى رأس الحمل ، وهى جزء من ألف من مدة السند هند وذلك عندهم تفسير الأزجير . أما أصحاب الأركند فإنهم خالفوا الفرقتين الأولتين (كذا) فى حركات الكواكب ، وفى مدة العالم خلافا لم يبلغنى الحقيقة .

ومما وصل إلينا من علومهم فى الموسيقى الكتاب المسمى بالهندية « ناخر »[2] وتفسيره ثمار الحكمة ، فيه أصول اللحون وجوامع تآليف النغم .

ومما وصل إلينا من علومهم فى إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس [ص ١١ من المخطوط] كتاب كليلة ودمنة الذى جلبه بُرْزُويه الحكيم الفارسى من الهند إلى أنوشروان بن قباذ بن فيروز ملك الفرس ، وترجمه له من الهندية إلى الفارسية[3] إلى اللغة العربية ، وهو كتاب عظيم الفائدة ، شريف الغرض جليل المنفعة[4] .

ومما وصل إلينا من علومهم فى العدد حساب الغبار[5] الذى بسطه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمى ، وهو أوسع حساب وأخصره[6] وأقربه تناولا ، وأسهله مأخذًا ، وأبدعه تركيبًا ، يشهد للسند [الهند فى بعض نسخ المخطوط] بذكاء الخواطر وحسن التوليد وبراعة الاختراع .

---

(١) المراد كتاب لصاعد وهو غير الذى نحققه .

(٢) أورد بلاشير هذا اللفظ فى ترجمته الفرنسية (ص ٤٧) بياهار وعلق على ذلك بقوله فى الهامش (رقم٢) « يافر » كما ورد عند القفطى (فى كتابه عن الحكمة) ص٢٦٦ سطر ١٠ وقد وردت فى نسخته المطبوعة نفير وقد أخذت رسم فيران وهو الذى ترجم هذه الكتب من العربية إلى الفرنسية .

(٣) علق لويس شيخو على ذلك بقوله : (ص١٤ هامش ٢ من تحقيقه) يريد اللغة الفهلوية التى نقل ابن المقفع عنها إلى العربية وقال إنه كان قد نقلها إلى الكلدانية البردوط بوذ فى القرن السادس المسيحى .

(٤) علق لويس شيخو على ذلك بقوله : (ص١٤ من طبعته) أنه سبق أن طبع هذا الكتاب من أقدم نسخة مؤرخة .

(٥) حساب الغبار هى الكسور العشرية ، وقد أخذها العرب عن أهل الهند ، وأضاف شيخو أنهم ذكروا فى مجلة المشرق (ص٢٣٩) أن السريان سبق أن أخذوها عن الهنود ، وربما يكون العرب قد أخذوا عن السريانية وعن العرب أخذها أهل الغرب ، وقد علق لويس شيخو على ذلك بقوله (ص١٤ من طبعته) هامش أن السريان سبقوهم إلى معرفته .

(٦) هذه قراءة نسخة ص من المخطوط ، وأما نسخة ل فقد أوردته أخصره .

ومما وصل إلينا من نتائج فكرهم الصحيحة ومولدات عقولهم السليمة ، وغرائب صنائعهم الفاضلة الشطرنج ، وللهند فيما يتركب من بيوتها من الأعداد المضاعفة رموز أسرار يعتقدونها من تَقْدِمَةِ المعرفة وغوامض يَتَنَحَّلُون منها من القوى الخارجة عن الطبيعة . ولعمرى أن فيما يظهر عند استعمالها بتصريف قطعها من حسن التأليف وعجيب الترقيب لغرضًا جليلا ومقصدًا فخما ، لما فى ذلك من التنبيه على وجه التحرز من الأعداء ، والإشارة إلى صور الحِيَلة فى التخلص من المكاره ، وكفى بهذا فائدة جمة وثمرة نافعة[1] .

ومما بلغنا ذكره من علمائهم بهيئة العالم وتركيب الأخلال وحركات النجوم كَنْكَة الهندى ، فإن أبا معشر جعفر بن عمر البلخى ذكر فى كتاب الألوف أنه المقدم فى علم النجوم . عند جميع العلماء من الهند من سالف الدهر[2] ، ولم يبلغنى تحديد عصره ولا شيء من أخباره غير ما ذكرناه عنه .

---

(١) فى الأصل : وينتحلوا منها وقد أصلحتها على هذا النحو .

(٢) ورد فى هامش ٢ ص ١٤ من طبعة لويس شيخو أن الحاج خليفة نقل هذه الفقرة عن صاعد (١/٥٠) ونقلها ابن القفطى فى ص٢٦٥ من طبعات العلماء ونقلها ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء ٢/٣٣ وعلق على ذلك ريجى بلاشير بقوله فى التعليقات على ترجمته الفرنسية (ص٤٨ هـ ٥) : « وهاتان الفقرتان نقلهما القفطى فى طبقات الحكماء (ص ٢٦٥) » وعن كنكه الهندى انظر : لكليرك ١/٢٨٧ أما فيران Ferrandفيقرؤه جنجه أو جرده ويقول إنه عالم هندى عاش فى القرن المسيحى الأول (انظر كتاب فيران ص٣٣٢ هامش ٢) وعن كنكه الهندى انظر كتاب الفهرست لابن النديم ص٢٧٠ وانظر عنه تاريخ علماء العرب بقلم فيران (ص٢٣٢ هامش ٢) .

العلم فى الفرس

أما الأمة الثانية وهى الفرس فأهل الشرف الباذخ والعز الشامخ ، وأوسط الأمم دارًا ، وأشرفها إقليما وأسوسها ملوكا ، ولا نعرف أمة غيرها دام لها الملك ، وكانت لهم ملوك تجمعهم ورؤوس تحامى عنهم من ناوأهم وتغلب بهم من غارهم[1] ، وتدفع ظالمهم عن مظلومهم [ص١٢ من المخطوط] وتحملهم من الأمور على ما فيه حظهم على اتصال ودوام وأحسن التئام وانتظام ، يأخذ ذلك آخرهم عن أولهم وغابرهم عن سالفهم .

قال صاعد : ولأهل العلم بتاريخ الأمم منازع فى مدة مملكة الفرس ،.ليس هذا موضع ذكره، وقد أتينا باختلافهم فى ذلك فى كتابنا فى «جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم»[2] .

وأصح ما قيل فى ذلك أن من ابتداء ملك كَيُومَرْث بن أميم بن الادّ بن سام بن نوح أبى الفرس كلها ، الذى هو عندهم آدم أبو البشر عليه السلام إلى ابتداء ملك منوشهر[3] أول ملوك الطبقة الثانية من ملوك الفرس نحو ألف سنة كاملة ، ومن ملك منوشهر إلى ابتداء ملك كِيقَبَاذ بن روع أول ملوك الطبقة الثالثة من ملوك الفرس قريب من مائتى عام ، ومن ملك كِيقَبَاذ إلى ابتداء ملك الطوائف وهى الطبقة الرابعة من ملوك الفرس وذلك عند مقتل[4] الإسكندر لدارا بن دارا آخر ملوك الطبقة الثالثة من ملوك الفرس نحو ألف سنة ، ومن أول ملوك الطوائف إلى ابتداء ملك أَرْدَشِيرْ بن بابك الساسانى أول ملوك بنى إسرائيل[5] وهى الطبقة الخامسة من ملوك الفرس خمسمائة وإحدى وثلاثون[6] سنة .

---

(١) كذا فى الأصل وأرى أن صحته : من غازاهم وأظن أن هذه هى قراءة « ريجى بلاشير » فقد ترجمها بقوله (ص٤٩) .

(٢) هذا كتاب آخر لصاعد غير الذى نحققه ، وانظر مقدمة هذا الكتاب وقد أصلحها لويس شيخو (ص١٥) من طبعته .

(٣) علق على ذلك لويس شيخو (ص ١٥ هامش ٤) بقوله : والفرس يقولون منوجهر .

(٤) كذا فى الأصل ، وصحته : قتل .

(٥) فى الأصل اضطراب وفد قومته ، وقد كتب بلاشير هذا الاسم الفارسى Kaiyumart, Gayomarch وقال معلقا على ذلك : وهو مؤسس أسرة البشداديين الأسطورية ، وانظر كتاب كلير مون فيران Clemont Ferrand ص ٢٥٣ .

(٦) فى طبعة لويس شيخو ص ١٥ يقول : إلى ابتداء ملك أرادشير بن بابك الساسانى (أول ملوك بنى إسرائيل) علق شيخو على ذلك بقوله : « وهى الطبقة الخامسة من ملوك الفرس خمسمائة سنة وإحدى وثلاثون سنة » وهذه العبارة الزائدة التى وضعتها بين قوسين لم ترد كذلك فى الأصل الذى ترجم منه ريجى بلاشير . وقد قرأها ريجى بلاشير وترجمها ترجمة صحيحة فقال : ابتداء من ملك كيومرث بن أميم بن لُد (الأد) بن سام بن نوح جد الفرس ، وهو المعتبر عندهم آدم جد البشر عليه السلام حتى بداية حكم منوشهر . وورد فى الهامش أن منوشهر هو مؤسس أسرة البشداديين الأسطورية . انظر كليمان هوار ص٢٥٣ .

ومن ابتداء ملك أردشير بن بابك إلى انقضاء دولة الفرس من الأرض وذلك عند قتل يزد جرد بن شهريار زمان خلافة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فى سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة أربعمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة . فذلك ثلاثة آلاف سنة مائة سنة وأربع وستون سنة (٣١٦٤ سنة) ، وإنما ذكرنا مدة ملكهم وإن لم يكن من غرض هذا الكتاب لترى بذلك فخامة مملكتهم وعظم سلطانهم ، ولهذا ومثله من سائر جلدتهم استحق ملوكهم عند سائر الملوك أن يقال لهم « ملوك الملوك » على حسب ما قدمنا قبل ذلك .

وأعظم فضائل ملوك الفرس التى اشتهروا بها حسن السياسة وجود[1] التدبير ، لا سيما ملوك بنى ساسان [ص١٣ من المخطوط] منهم ، فهم ملوك لم يكن فى سائر الأعصار مثلهم رجاحة أحلام وكرم سيرة واعتدال مملكة وبعد صيت .

ومن خواص الفرس عناية بالغة بصناعة الطب ، ومعرفة ثاقبة بأحكام النجوم وتأثيرها فى العالم السفلى ، وكانت لهم أرصاد للكواكب قديمة ، ومذاهب فى حركاتها مختلفة ، فمن ذلك المذهب الذى ألف عليه أبو معشر[2] جعفر بن محمد البلخى زيجه الكبير وذكر أنه مذهب العلماء المتقدمين من أهل فارس ، وكثير من علماء سائر النواحى .

وحكى أن مدة العالم عندهم جزء من اثنى عشر ألف من مدة السند هند ، وذلك ثلاثمائة ألف سنة وستون ألف سنة (٣٦٠,٠٠٠ سنة) ، وأن هذه المدة عندهم هى التى يجتمع فيها أوساط الكواكب خاصة فى رأس الحمل من غير أن يكون معها أوجاتها وجوزهراتها ، وأثنى أبو معشر على هذا المذهب وقال : إن أهل الحساب من فارس وبابل والهند والصين وأكثر الأمم ممن كانت له معرفة بصناعة النجوم[3] مجمعون على أن أصح هذه الأدوار دور هذه الفرقة ، وكانوا يسمونها بسنى العالم ، وبهذا الاسم كانت تسميها الأمم الخالية من أهل هذه الصناعة على قديم الدهور[4] ، وأما أهل زماننا فيسمونها بسنى أهل فارس .

---

(١) كذا فى الأصل والأصح جودة .

(٢) فى الأصل : أبو المعشر .

(٣) فى إحدى النسخ ورد هنا : وخاصة كَنْكَة الهندى المقدم على جميع العلماء من أهل الهند فى سائر الدهور .

(٤) جاء فى الهامش هنا : وخاصة كنكة الهندى المقدم على جميع العلماء من أهل الهند فى سائر الدهور .

وللفرس كتب جليلة فى أحكام النجوم ، منها كتاب فى صور درجات الفلك ينسب إلى أزدرشت[1] وكتاب التفسير وكتاب جاماستف[2] وهو جليل جدًّا .

وذكر بعض علماء الأخبار أن الفرس فى أول أمرها كانت موحدة على دين نوح عليه السلام إلى أن أتى بوذاسف المشرقى إلى طَهمورَث ثالث ملوك الفرس بمذهب الحنفاء ، وهم الصابئيون فقبله منه ، وقهر الفرس على التشرع[3] به فاعتقدوه نحو ألف سنة وثمانمائة سنة (١٨٠٠ سنة) إلى أن تمجسوا[4] جميعًا .

وكان سبب تمجسهم أن [ص ١٤ من المخطوط] زرادشت الفارسى ظهر فى زمن يستاسب[5] الملك ملك الفرس ، ولثلاثين سنة خلت من ملكه ودعا إلى دين المجوسية من تعظيم النار وسائر الأنوار والقول بتركيب العالم من النور والظلام ، واعتقاد القدماء الخمسة التى هى عندهم : البارى (تعالى عما يقولون) وإبليس والهيولى والزمان والمكان وغير ذلك من شريعة المجوسية . فقبل ذلك منه يستاسب ، وقام بدينه ، وقاتل الفرس عليه حتى انقادوا جميعًا إليه ورفضوا دين الصابئة واعتقدوا زرادشت نبيًّا مرسلا من عند الله عز وجل إليهم ، ولم يزالوا على دينه وملتزمين لشريعته قريبا من ألف سنة وثلاثمائة سنة إلى أن ضعضع ملكهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واستولى على المدائن قاعدة عزهم ، وطردهم من العراق وما يتصل بها إلى بلاد خراسان ، ثم استأصل عثمان بن عفان رضى الله عنه بقية ملكهم بقتل يزدجرد بن شهريار آخر ملوكهم فى خلافته ، وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة ، وباد منهم خلق عظيم فى الحروب الواقعة بينهم وبين المسلمين فى يوم القادسية ويوم جَلُولاء ويوم نهاوند وغيرها ، وأسلم منهم جماعة ، وبقيت بقيتهم على دين المجوسية إلى الآن أهل ذمة كذمة اليهود والنصارى بالعراق والأهواز وبلاد فارس وأصبهان وخراسان وغيرها من مملكة الفرس قبل الإسلام .

---

(١) علق لويس شيخو على ذلك بقوله فى الهامش : كذا والمعروف زرادشت .

(٢) ورد فى مخطوطات بعض الأصول الأخرى جامادسب وورد فى كتاب « الفهرست » جاماسات وهو يقول إنه كتاب كيمياء منسوب إلى جاماسب .

(٣) فى الأصل : تسرعوا والمراد : تشرعوا والصورة التى أثبتناها فى الأصل وردت فى نسخة أخرى . أما الصابئيون الذين ورد ذكرهم هنا فهم الصابئون .

(٤) قال لويس شيخو تعليقا على ذلك : التمجس التدين بالمجوسية ، وهى عبادة النار والشمس .

(٥) علق لويس شيخو على هذا الاسم بقوله : ويقال بِستَاشْف وكيستابف وكيستاسف (ص١٧ هامش ٢) .

العلم عند الكلدان

وأما الأمة الثالثة ممن اشتغل بالعلم ، وهم الكلدانيون ، فكانت أمة قديمة الرئاسة نبيهة الملوك ، كان منهم النماردة الجبابرة الذين كان أولهم النمرود بن كوش بن حام بانى المجدل[1] الذى ذكره الله تعالى فى قوله : ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[2] . وحكى أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذانى المعروف بابن ذى الدمينة صاحب كتاب « سرائر الحكمة » وكتاب « الإكليل » وغيرهما أن ارتفاع سمك المجدل كان فيما ذكره أهل العلم خمسة آلاف [ص١٥ من المخطوط] ذراع ، وكان عرضه ألف وخمسمائة ذراع .

ويزعم البابليون أن هذا النمرود البابلى بانى الصرح ، كان أول ملوك الأرض بعد الطوفان ، وكان منهم نمرود إبراهيم عليه السلام ، وهو النمرود بن كنعان بن سنحاريب من ولد نمرود[3] الأصغر بن كنعان الذى غزا بنى إسرائيل وقتل منهم خلقًا عظيمًا وسبى بقيتهم ، وغزا مصر وافتتحها ودوخ كثيرًا من البلدان ، ولم يزل ملك بخت نصر ببابل وجميع بلاد الكلدانيين إلى أن ظهر عليهم الفرس وغلبوهم على مملكتهم وأبادوا كثيرًا منهم فدرست أخبارهم وطمست آثارهم .

وكان من الكلدانيين علماء أجلة وفضلاء وحكماء من أجل النَّاس فضلا وحكمة ، متوسعون فى فنون المعارف من المهن التعليمية والعلوم الرياضية والإلهية ، وكانت لهم علوم بأرصاد الكواكب ، وتحقق بعلم أسرار الفلك ، ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم وأحكامها وخواص المولدات وقواها . وهم نهجوا لأهل الشق الآخر من معمور الأرض الطريق إلى تدبير الهيكل لاستجلاب قوى الكواكب وإظهار طبائعها وطرح شعاعاتها عليها بأنواع القرابين المؤلفة لها وضروب التدابير المخصوصة بها ، فظهرت منهم الأفاعيل الغريبة والنتائج العجيبة من إنشاء الطلسمات وغيرها من صناعة السحر[4] .

وأشهر علمائهم عندنا وأجلهم هو هرمس البابلى ، وكان فى عهد سقراط الفيلسوف اليونانى ، وذكر عنه أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخى فى كتاب « الألوف »

---

(١) انظر العهد القديم سفر التكوين فقرة ٨ - ١٠ .

(٢) سورة النحل : الآية ٢٦ .

(٣) قال لويس شيخو (ص ١٨هـ ٢) لم يأت فى الآثار القديمة ذكر لنمرود آخر غير البابلى .

(٤) فى المخطوطة : السر ، وقد أصلحتها من مخطوطة أخرى .

أنه هو الذى صحح كثيرًا من كتب الأوائل فى علوم النجوم وغيرها من أصناف الفلسفة مما كان فسد ، وأنه صنف كتبًا كثيرة فى علوم شتى ، قال أبو معشر : والهرامس جماعة شتى منهم الهرمس الذى كان قبل الطوفان ، الذى يزعم العبرانيون أنه خنوخ وهو إدريس عليه السلام ، وكان بعد الطوفان [ص١٦ من المخطوط] منهم عدة ذوو معرفة وتمييز ، وكان المقدم منهم اثنان : **أحدهما** – البابلى الذى ذكرناه ، **والآخر** – تلميذ فيثاغورس الحكيم من سكان مصر .

قال صاعد : وقد وصل إلينا من مذهب هرمس البابلى[1] ودل على تقدمه فى العلم ، من ذلك مذهبه فى مطارح شعاعات الكواكب ، ومذهبه فى تسوية بيوت الفلك ، ومن ذلك كتبه فى أحكام النجوم مثل كتاب « الطول » وكتاب « العرض » وكتاب « قضيب الذهب » .

ومن علمائهم بعد هرمس برجس صاحب كتاب « أسرار النجوم فى معرفة الفلك والدول والملاحم » ومنهم واليس[2] صاحب « كتاب الصور » وكتاب اليرندج المؤلف فى المواليد وتحويلها ، وهو يستخدم كذلك مدخلا للنجوم ، وكان ملكًا ، ومنهم اصطفن البابلى له كتاب جليل فى أحكام النجوم ، وكان فى مدة شعيب النبى عليه السلام .

ولم يصل إلينا من مذهب البابليين فى حركات النجوم وصورة هيئة الفلك مذهب مُسْتَقْصَى ولا جملة ولا عندنا من آدابهم فى ذلك ولا من أرصادهم غير الأرصاد التى نقلها عنهم بطليموس اليونانى القلوذى فى كتاب « المجسطى » فإنه اضطر إليها فى تصحيح حركات الكواكب المتحيرة ، إذ لم يجد لأصحابه فى ذلك أرصادًا يثق بها[3] .

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الفرنسية جـ ٢/ ٤٧٧ وانظر ترجمة بلاشير الفرنسية ص٥٥ تعليق رقم ٢ .

(٢) هذا خطأ وصحته كما أورده بلاشير فالنس .

(٣) وردت هذه العبارة فى المخطوط مضطربة وقد أصلحتها من مخطوط آخر .

الباب الخامس

العلم فى اليونان

وأما الأمة الرابعة[1] وهم اليونانيون ، فكانت أمة عظيمة القدر فى الأمم طائرة[2] الذكر فى الآفاق ، فخمة الملوك عند جميع أهل الأقاليم ، منهم الإسكندر بن فيلبس المقدونى[3] المعروف بذى القرنين الذى غزا دارا بن دارا ملك الفرس فى عقر داره وثل عرشه[4] [ومزق ملكه وفرق جمعه ثم تخطاه قاصدًا إلى ملوك الشرق من الهند والترك والصين فتغلب على بعضهم وانقاد له جميعهم ، وتلقوه بالهدايا الفخمة ، واستكفوه بالأتاوات الجزلة ، ولم يزل مترددًا فى أقاصى الهند وتخوم الصين وسائر أكناف المشارق حتى اجتمع ملوك الأرض طرًّا على الطاعة لسلطانه والخضوع [ص ١٧ من المخطوط] لعزته والإقرار بأنه ملك الأقاليم والاعتراف بأنه رئيس الأرض[5]] .

وكان بعده من الملوك اليونانيين جماعة يعرفون بالبطالسة وأحدهم بطليموس، دانت لهم الممالك[6] وذلت لهم الرقاب، ولم يزل ملكهم متصلا إلى أن غلبهم عليه الروم فانقرض ملكهم من الأرض وانتظمت مملكتهم مع مملكة الروم فصارت مملكة واحدة رومية كما فعلت الفرس بمملكة البابليين حين استولت عليها وصيرت المملكتين مملكة واحدة فارسية.

وكانت بلاد اليونانيين فى الربع الغربى الشمالى من الأرض ، ويحدها من جهة الجنوب البحر الرومى والثغور الشامية والثغور الخزرية[7] ، ومن جهة الشمال بلاد اللان[8] وما حاذاها من ممالك الشمال ، ومن جهة المغرب تخوم البلاد الرومانية[9] التى قاعدتها

---

(١) علق لويس شيخو على هذه الفقرة (ص ١٩ هامش ٢) بقوله : هذه القطعة فى وصف أمة اليونان نقلها ابن القفطى فى تاريخ الحكماء (ص ١٦ - ٢٧) مع بعض التغيير .

(٢) فى نسخة ح ك : ظاهرة .

(٣) فى نسخة ح ك : الماقدونى .

(٤) فى الأصل : وقبل عرسه وهو خطأ .

(٥) فى نسخة ح ك فاستلبه ملكه بعد إهلاكه .

(٦) فى مخطوطة ح ك : دان لهم الملك .

(٧) كذا فى الأصل والصواب كما جاء فى مخطوطة ح ك الجزرية نسبة إلى بلاد الجزيرة وما بين النهرين .

(٨) يريد بلاد الألان .

(٩) علق لويس شيخو على ذلك بقوله (ص٢٠ هامش ٤): كذا والصواب: المانية .Le Saint Empire Germanique

مدينة رومية . ومن جهة المشرق مدينة أرمينية[1] وباب الأبواب[2] والخليج المعترض ما بين بحر الروم وبحر بنطش[3] الشمالى يتوسط بلاد اليونان ، فيصير القسم الأعظم منها فى حيز المشرق منه ، والقسم الأصغر منها فى جنوب المغرب منه .

ولغة اليونانيين تسمى الإغريقية ، وهى من أوسع اللغات وأجلها[4] ، وكانت عامة اليونانيين صابئة معظِّمة للكواكب ذامئة بعبارة الأصنام ، وكان علماؤهم يسمون فلاسفة ، واحدهم فيلسوف ، وهو اسم معناه باللغة اليونانية محب الحكمة ، وفلاسفة اليونانيين[5] من أرفع الناس طبقة وأجل أهل العلم منزلة ، لما ظهر منهم الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية والمعارف الطبيعية والإلهية والسياسات المنزلية[6] والمدنية .

وأعظم هؤلاء الفلاسفة عند اليونانيين قدرًا خمسة : فأولهم زمانًا بند قليس[7] ثم فيثاغورس ثم سقراط ثم أفلاطون ثم أرسطاطاليس بن نيقوما خوس [ص ١٨ من المخطوط] اسم الحكمة عند اليونانيين[8] .

فأما بندقليس فكان فى زمن داود النبى عليه السلام على ما ذكره العلماء بتواريخ الأمم . وكان أخذ الحكمة عن لقمان[9] بالشام ، ثم انصرف إلى بلاد اليونانيين ، فتكلم فى خلقة العالم بأشياء يقدح ظاهرها[10] فى أمر المعاد ، فهجره لذلك بعضهم ، وطائفة

---

(١) كذا والصواب كما فى ح ك : تخوم بلاد أرمينية . تحقيق لويس شيخو ص ٢٠ هـ ٥ .

(٢) يريد الدربند .

(٣) المراد بحر بنطش أى البحر الأسود .

(٤) قرأها بلاشير : وأجملها وترجمها على هذا الأساس .

(٥) قال شيخو فى تعليقاته على طبعته لكتاب صاعد (ص ٢٠ هـ ٧) : هذه القطعة عن فلاسفة اليونان نقلها ابن أبى أصيبعة بحرفها فى تأليفه عيون الأنباء فى طبقات الأطباء (٣٦/١) .

(٦) ترجم بلاشير هذين اللفظين ترجمة جميلة La constitution de la famille de la societè(ص ٥٨) .

(٧) علق لويس شيخو على هذا الاسم بقوله (ص ٢١ هـ ١) : بندقليس أو إنبادقليس Empedocle الفيلسوف الصقلى فى القرن الخامس قبل المسيح .

(٨) هذه العبارة لم ترد إلا فى نسخة واحدة من مخطوطات طبقات الأمم ، ولم توجد فى المخطوط الذى اعتمد عليه لويس شيخو فى طبعته ولا فى المخطوط الذى ترجم منه بلاشير .

(٩) قال لويس شيخو فى التعليق على طبعته (ص ٤/٢١) والصواب أن داود سبقه خمسة أجيال ، وقال ريجى بلاشير فى تعليقاته على الترجمة الفرنسية لنص صاعد (١/٥٩) أن أنباذ قليس ظهر حوالى ٤٥٠ ق .م . وقال : اختلف فى وجود لقمان وأصله وزمانه .

(١٠) فى مخطوطة طبقات الحكماء لابن القفطى : تقدح ظواهرها .

من الباطنية[1] تنتهى[2] إلى حكمته وتزعم أن له رموزًا قلما يوقف عليها . وكان محمد بن عبد اللّه بن مرة الجبلى[3] الباطنى من أهل قرطبة كَلِفًا بفلسفته دؤوبًا على دراستها . وكان أول من ذهب إلى الجمع بين صفات اللّه تعالى وأنها كلها تؤدى إلى شىء واحد، وأنه إذا وصف بالعلم والجودة والقدرة فليس هوذا معان متميزة تختص بهذه الأسماء المختلفة . بل هو الواحد بالحقيقة الذى لايتكثر بوجه ما أصلاً بخلاف سائر الموجودات . فإن الوحدانيات العالمية معرضة للتكثير . إما بأجزائها وإما بمعانيها[4] وإما بنظائرها[5] ، وذات البارى تعالى متعالية عن هذا كله[6] ، وإلى هذا المذهب فى الصفات ذهب أبو الهذيل محمدبن الهذيل العلاف البصرى[7].

وأما فيثاغورس فكان بعد بندقليس بزمان[8] ، وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام بِمِصْرَحِين[9] دخلوا إليها من بلاد الشام ، وكان قد أخذ الهندسة قبلهم عن المصريين ، ثم رجع إلى بلاد اليونان وأدخل عندهم علم الهندسة وعلم الطبيعة وعلم الدين ، واستخرج بذكائه [علم] الألحان وتأليف النغم وأوقعها على

---

(١) عن الباطنية قال لويس شيخو (٨/٢١) الباطنية طائفة من الإسماعيلية أو الزنادقة .

(٢) قال لويس شيخو (ص ٩/٢١) روى ابن أبى أصيبعة : تنتمى ولعلها الأصح وفى مخطوطة طبقات الحكماء ومن الفرقة الباطنية من يقول برأيه .

(٣) علق لويس شيخو على هذا الاسم بقوله : كذا روى ابن أبى أصيبعة ، وفى الأصل مسرة ، أما صفات الحكماء (ص ١٦) فدعاه أبا عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن مسرة بن نجيح قال : إنه سمع من أبيه ومن ابن وضاح ومن الخشنى وخرج إلى المشرق فارا لما اتهم بالزندقة لإكثاره من النظر فى فلسفة أنباذقليس ولهجه بها ، وتردد فى المشرق بأمدة واشتهر بملاحاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة ، ثم عاد إلى الأندلس ، وأظهر النسك والورع واغتر الناس بظاهره واختلفوا إليه وسمعوا منه ثم ظهروا على معتقده وقبح مذهبه ، فانقبض عنه بعض ولازمه بعض ودانوا بنحلته ، وكان له لسان خلاب يتوصل به إلى مراده ، توفى سنة ٣١٩ هـ/٩٣١ م . وهو ابن خمسين سنة .

(٤) هذه (فى الصفحة السابقة) رواية ص ، ب ، وفى الأصل « معروضة بالتكثير » ، وفى ح ك : معترضة للتكثر وأصح قراءة للأصل : معروضة أو معرضة للتكثير .

(٥) الأصح : بأشباهها .

(٦) انظر الشهرستانى « الملل والنحل طبعة كيوردن ٢٦٢ - ٢٦٣ وطبعة مونك ٢٣١ » .

(٧) فى المخطوط : المصرى وقد صححتها انظر : د م . أ : ٩٥/١ .

(٨) عاش فيثاغورس قبل أنباذقليس بقليل ، وقد أخذ صاعد هذه المعلومة عن ابن القفطى (ص ٢٦٨) ، وانظر أيضًا ابن أبى أصيبعة ٣٧/١ .

(٩) جاء فى تعليقات لويس شيخو على طبعته (٥/٢٠) هذه رواية كتاب طبقات الحكماء وهى صحيحة ، وفى الأصل مقربين .

النسب العددية ، وادعى أنه استفاد ذلك من مشكلة النبوة بصر العالم وتركيبه على خواص العدد ومراتبه ورموز عجيبة وأغراض بعيدة ، وله فى شأن المعاد مذاهب قارب فيها بندقليس من أن فوق عالم الطبيعة عالما روحانيًا نورانيًا لا يدرك العقل حسنه وبهاءه ، وأن النفس الزكية تشتاق إليه وأن [ص ١٩ من المخطوط] كل إنسان أحسن تقويم نفسه بالتبرى من العجب والتجبر والرياء والحسد وغيرها من الشهوات الجسدانية ، فقد صار أهلاً أن يلحق بالعالم الروحانى ويطلع على ما شاء من جواهره من الحكمة الإلهية ، وأن الأشياء الملذة[1] للنفس تأتيه حينئذ أرسالا[2] كالألحان الموسيقية الآتية إلى حاسة السمع ، ولا يحتاج أن يتكلف لها طلبًا ، ولفيثاغورس تآليف شريفة فى الدرثماطقى والموسيقى وغير ذلك .

وأما سقراط[3] فكان من تلاميذ فيثاغورس ، واقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية ، وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها وأعلن بمخالفة اليونانيين فى عبادتهم الأصنام ، وقابل رؤساءهم بالحجم والأدلة ، فثوروا العامة عليه واضطروا ملكهم إلى قتله فأودعه الملك الحبس تَحَمُّدًا[4] إليهم ، ثم سقاه السم تفاديًا من شرهم بعد مناظرات جرت له مع الملك محفوظة ، وله وصايا شريفة وآداب [فاضلة] وحكم مشهورة ، ومذاهب فى الصفات قريبة من مذاهب فيثاغورس وبندقليس ، إلا أن له فى شأن المعاد آراء ضعيفة بعيدة عن محض الفلسفة خارجة عن المذاهب المحققة[5] .

وأما أفلاطون فشاركه سقراط فى الأخذ عن فيثاغورس ، إلا أنه لم يشتهر بالحكمة إلا بعد سقراط ، وكان شريف النسب من بيت علم [فى بيوت يونان] ، واحتوى على

---

(١) فى مخطوطة ابن أبى أصيبعة الملذذة .

(٢) فى مخطوطة ح ك – حشدًا .

(٣) جاء فى تعليقات لويس شيخو : نقل ابن أبى أصيبعة كلام مؤلفنا عن سقراط فى كتابه طبقات الأطباء (٤٣/١) وكذلك ابن القفطى فى طبقات الحكماء (ص ١٩٨) .

(٤) كذا فى مخطوطة ص و ب وفى طبقات الحكماء توصلا إلى قلوبهم وتسكينا إلى ثائرتهم .

(٥) إضافة من الناسخ وقد نقلها ابن القفطى فى طبقات الحكماء ص ١٩٨ وابن أبى أصيبعة ٤٣/١ وانظر ترجمة بلاشير ص ٦١ هـ – ١ وهو يقول هنا عن تطور الكلام الذى سيجىء – وهو لا يرد فى الطبعة – انظر نسخة مخطوطة مركز الإحاطة لابن الخطيب (مخطوطة المكتبة الأهلية فى باريس رقم ٣٣٤٧ ورقة ١٠٣) وقد أخذ صاعد هذا الكلام من شيخه أبى الحسن على الجمى نقلا عن تقييد لتلميذه أبى جعفر بن الزبير ونصه يحتوى على نسخة مختلفة فى بعض تفاصيلها من طبقات الأمم .

جميع فنون الفلسفة ، وصنف كتبًا كثيرة واشتهر جماعة من تلاميذه[١] ، وكان يُعَلِّمُ وهو ماشى فعرف هو وتلاميذه بالمشائين ، وفوض التعليم والمدارسة فى آخر عمره إلى ذوى البراعة من أصحابه ، وتخلى عن الناس وتجرد لعبادة ربه ، ومن كتبه المشهورة كتاب فيدون[٢] فى النفس ، وكتاب السياسة المدنية ، وطيماوش الروحانى فى ترتيب العوالم الثلاثة العقلية التى هى عالم الربوبية وعالم العقل وعالم النفس ، وكتاب طيماوش[٣] الطبيعى فى تركيب عالم الطبيعة ، كتب هذين الكتابين إلى تلميذ له يسمى طيماوش[٤] .

وأما أرسطاطاليس[٥] بن نيقوماخوس فهو الجهراشى[٦] [ص ٢٠ من المخطوط] الفيثاغورى ، وتفسير نيقوماخوس قاهر الخصوم ، وتفسير أرسطاطاليس تام الفضيلة ، حكى ذلك أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى[٧] ، وكان نيقوماخوس فيثاغورى المذهب ، وله تآليف مشهورة فى الأرثماطقى وكان ابنه أرسطاطاليس تلميذ أفلاطون ويقال إنه لازمه عشرين سنة .

---

(١) هذا الكلام ينطبق على أرسطو وأفلاطون .

(٢) فى الأصل فادن وهو خطأ ، لأن الأصل فيدون Pheêdon كما أثبتناه .

(٣) علق بلاشير على ترجمته لهذه الفقرة بقوله : « فقال له وهو يتناول فى هذا الكتاب ما وراء الطبيعة » La metaphysique وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية حنين بن إسحاق وكذلك ابن البطريق ، وقد علق على هذا النص يحيى بن عدى (انظر كتاب الفهرست ص ٢٤٦) ، ونحن هنا لا نفهم ذكر اثنين يسميان طيماوش واحد منهما ذكره حنين بن إسحاق الذى ترجم تعليق جالينوس على طيماوش كما نعرفه ، وهو الذى كتب على الطبيعة مما يوقع فى الذهن أن هناك فعلاً رجلين باسم طيماوش ، والمسعودى فى كتاب التنبيه والإشراف ص١٦٣ وهو يتحدث كذلك عن طيماوش الذى يسميه طيماوش الطبيعة Timée Medical وطيماوش عالم الطبيعة Timée Physique الذى ذكره صاعد (انظر دائرة المعارف الإسلامية ١٧٧/١ ، وانظر بقية كلام بلاشير ٦٢ هـ/٤) .

(٤) انظر ترجمة بلاشير ص ٦٢ هـ .

(٥) جاء فى تعليقات لويس شيخو (ص ١/٢٤) : ما جاء هنا فى أرسطو ، نقله ابن أبى أصيبعة بنصه (١/٥٧ - ٥٨) وروى قسما منه جمال الدين القفطى فى كتاب طبقات الحكماء (٢٧ - ٣٠) وانظر أيضًا كتاب الفهرست لابن النديم ص ٣٤٦ وقال بلاشير : إن العرب خلطوا بين أبى أرسطو ونيقوماخوس الجريشى . ولم يكن الخلط من عمل الأسطاغيرى Stairite كما قال لويس شيخو (ص ٢٤ هـ ١) .

(٦) قال لويس شيخو فى تعليقه على طبعته لطبقات الأمم لصاعد : فى كتاب طبقات الحكماء : الجهراشى وعند ابن أبى أصيبعة الجراشى ، وقال الأب شيخو : لعله يريد الأسطاغيرى نسبة إلى اسطاغير Stagyre موطن أرسطو ، وقد علق على ذلك ريجى بلاشير فى ترجمته لصاعد : « والعرب لم يفرقوا بين الأكادميين Les Academiciens والمشائين LesPeripateriens بقوله : وقد وردت فى المخطوط الذى ترجمه بلاشير إضافة تقول : وقرابة نهاية حياته عهد أرسطاطاليس فى التدريس إلى البارزين من تلاميذه وابتعد عن الناس وكرس نفسه لعبادة ربه ، وقال بلاشير إن هذه الإضافة وردت فيما سبق (ص ٦١ هامش ١) انظر المخطوط ص ١٠٤ .

(٧) قال لويس شيخو فى شرح ذلك : إن القضايا الثلاث الكبرى والصغرى والنتيجة (ص ٢٤ هـ ى) .

وكان أفلاطون يؤثره على سائر تلاميذه ويسميه العاقل ، وإلى أرسطاطاليس انتهت فلسفة اليونانيين ، وهو خاتمة حكمائهم وسيد علمائهم ، وهو أول من خلص صناعة البرهانى من سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب بصاحب المنطق ، وله فى جميع العلوم الفلسفية كتب شريفة كلية وجزئية فالجزئية التى يتعلم منها معنى واحدًا فقط ، والكلية بعضها تذاكر بقراءتها ما قد علم من علمه وهى السبعون كتابًا التى وضعها لاوطارس[1] وبعضها تعاليم يتعلم منها ثلاثة أشياء : **أحدها** علوم الفلسفة **والثانى** أعمال الفلسفة **والثالث** الآلة المستعملة فى علم الفلسفة وغيره من العلوم .

فالكتب التى فى علوم الفلسفة[2] بعضها فى العلوم الطبيعية ، وبعضها فى العلوم الإلهية .

فأما الكتب التى فى العلوم التعليمية[3] فكتابه فى المناظر[4] وكتابه فى الخطوط[5] وكتابه فى الحيل .

وأما كتبه التى فى العلوم الطبيعية ، فمنها ما يتعلم منه الأمور التى تخص كل واحد من الطبائع ، فالتى يتعلم منها الأمور التى تعم جميع الطبائع هى كتابه المسمى بسمع الكيان ، فهذا الكتاب يعرف بعدد المبادئ لجميع الأشياء الطبيعية ، وهى بالأشياء التى هى – كالمبادئ ، وبالأشياء التوالى للمبادئ ، وبالأشياء المشاكلة للتوالى[6] للمبادئ ، فأما المبادئ فالعنصر والصورة ، وأما التى كالمبادئ وليست بمبادئ

---

(١) قال شيخو ص ٢٤/يريد أعيان اليونان ولعل الاسم مصحف .

(٢) قال الأب لويس شيخو: هذان السطران وقعا من نسختنا وقد استعرناهما من مخطوطتى ح ك و ص ب.

(٣) ترجمها بلاشير بالفرنسية Science mathematique.

(٤) ترجمها بلاشير traite de l'optique.

(٥) علق بلاشير على مصطلح الخطوط بقوله : lignes insecables أى الخطوط التى لا تخف أما الحيل فهى عنده La mecanique

(٦) المخطوط الذى اعتمد عليه الأب شيخو فى تحقيق كتاب طبقات الأمم لصاعد سيئ جدًّا ، وقد وجدت أن المخطوط الذى أعتمد أنا عليه أصح فاتبعته خاصة وهو يتفق مع المخطوط الذى اعتمد عليه بلاشير فى ترجمته ، وفيما يتعلق بسمع الكيان يقول بلاشير هنا فى الهامش رقم ١ ص ٦١ من الترجمة : عن الترجمات السريانية والعربية لهذا المصطلح انظر كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢٥٠ وانظر كتاب لكليرك عن (أطباء العرب ٢٠٦/١ هامش ١٠) .

حقيقة[1] بل بالتقريب فالعدم ، فأما التوالى فالزمان [والمكان] وأما المشاكلة للتوالى فالخلاء ومالا نهاية له ، وأما التى يتعلم منها الأمور الخاصية لكل واحد من الطبائع ، فبعضها فى الأشياء التى لا كون لها ، وبعضها فى[2] الأشياء المكونة ، أما الأشياء التى لا كون لها فالأشياء التى تتعلم [ص ٢١ من المخطوط] من المقالتين الأولتين فى كتاب السماء والعالم ، وأما التى فى الأشياء المكونة فبعض علمها عامى وبعضها خاصى[3] ، فالعامى بعضه فى الاستحالات وبعضه فى الحركات .

أما الاستحالات ففى « كتاب الكون والفساد » ، وأما الحركات ففى المقالتين الأخيرتين من كتاب السماء والعالم ، وأما الخاصى فبعضه فى البسائط وبعضه فى المركبات ، أما الذى فى البسائط ففى كتاب الآثار العلوية[4] ، وأما الذى فى المركبات فبعضه فى وصف كليات الأشياء المركبة ، وبعضه فى وصف أجزاء الأشياء المركبة ، وأما الذى فى وصف كليات الأشياء المركبة فهى فى « كتاب الحيوان » وفى « كتاب النبات » ، وأما الذى فى وصف أجزاء المركبات ففى « كتاب النفس » وفى « كتاب الحس والمحسوس » وفى « كتاب الصحة والسقم » وفى « كتاب الشباب والهرم »[5] .

وأما الكتب التى فى العلوم الإلهية فمقالاته الثلاث عشرة التى فى كتاب ما بعد الطبيعة .

وأما الكتب التى فى أعمال الفلسفة فبعضها فى إصلاح أخلاق النفس ، وبعضها فى

---

(١) زيادة جاءت فى مخطوطة الأب شيخو .

(٢) عند ابن أبى أصيبعة « من » .

(٣) الكلام هنا مضطرب جدًّا وقد ترجمه بلاشير بجهد شديد واعتمد فى فهمه على كتاب الفهرست لابن النديم من ص٢٥٠ إلى ص٢٥١ وكذلك على كتاب لكليرك فى تاريخ الطب عند العرب جـ١ ص٢٠٦ – ٢٠٧ .

(٤) انظر « الفهرست » لابن النديم ص ٢٥١ ، وكتاب لكليرك عن أطباء العرب ٢٠٦/١ هـ . ١ و ٢٠٧/١ رقم ١٢ ورقم ١٤ .

(٥) لكى يفهم القارئ معانى هذه العبارة الطويلة أرجو أن ينظر فى ترجمة بلاشير لهذا الكتاب إلى الفرنسية . وقد علق بلاشير على فقرات هذه العبارة بإشارات إلى فقرات من كتاب الفهرست وكتاب لكليرك فى تاريخ الطب عند العرب وأما كتاب النبات قال بلاشير : إن هذا الكتاب ليس لأرسطاطاليس وإنما هو لنيقولا الدمشقى . انظر الفهرست وكتاب لكليرك . انظر الترجمة ص ٦١ والتعليقات عليها وفى ص ٦٥ تعليق ٦ و ٧ إلى بلاشير بتوضيح بيانى لمؤلفات أرسطو بناء على كلام صاعد .

السياسة ، فأما التى فى إصلاح النفس فكتابه الكبير الذى كتب به إلى ابنه ، وكتابه الصغير الذى كتب به إلى ابنه أيضًا ، وكتابه المسمى أوذيميا .

وأما التى فى السياسة فبعضها فى سياسة المدن وبعضها فى سياسة المنزل[١] .

وأما الكتب التى فى الآلات[٢] المستعملة فى علوم الفلسفة ، فهى كتبه الثمانية المنطقية التى لم يسبقه أحد ممن علمنا إلى تأليفها ولا تقدمه إلى جمعها ، وقد جمع ذلك أرسطاطاليس فى آخر الكتاب السادس منها . وهو كتاب سوفسطيقا فقال : وأما صناعة المنطق وبناء السلوجسوس[٣] فلم نجد له فيها خلاء أصلا متقدما يُبْنَى[٤] عليه ، ولكنا وقفنا على ذلك بعد الجهد الشديد والنصب الطويل ، فهذه الصناعة وإن كنا نحن ابتدعناها[٥] فقد صنف جهتها ورممنا أصولها ، ولم نفقد شيئًا مما ينبغى أن يكون مجودًا فيها كما فقدت أوائل الصناعات ، لكنها كاملة مستحكمة [ص ٢٢ من المخطوط] مثبتة أساسها مزمومة[٦] قواعدها وثيق بنيانها معروفة غاياتها واضحة أعلامها قد قدمت أمامها أركانًا ممهدة[٧] ودعائم موطدة ، فمن عسى أن ترد عليه هذه الصناعة بعدنا فليغتفر خللا وجده فيها وليعتد بما بلغته الكلفة منا اعتدادًا بالمنة[٨] العظيمة واليد الجليلة ، ومن بلغ جهده فقد بلغ عذره .

وكان أرسطاطاليس[٩] معلم الإسكندر الملك بن فيلقومس بن الإسكندر المقدونى . وبآدابه عمل فى سياسة رعيته وسيرة مملكته وانقمع به الشر[١٠] فى بلاد اليونانيين وظهر الخير وفاض العدل ، ولأرسطاطاليس إليه رسائل كثيرة جليلة يحضه فيها على السير لحرب دارا بن دارا ملك الفرس ، ومنها رسالته التى جاوبه بها عن كتاب إليه من أرض الهند

---

(١) ترجم ربجى بلاشير « سياسة المنزل » بأنها سياسة الأسرة .
(٢) فى مخطوطة ص . ب - الآلة .
(٣) لفظة يونانية ومعناها القضية .
(٤) فى مخطوطة ص . ب نبنى .
(٥) زادت مخطوطة ص ب هنا : واخترعناها .
(٦) فى مخطوطة ص ب مرمومة .
(٧) فى الأصل ممتدة والتصويب من مخطوطة ص ب .
(٨) فى الأصل بالمنعة وقد أخذنا بما فى مخطوط ص ب .
(٩) هنا عاد ابن القفطى إلى النقل عن كتابنا .
(١٠) قال الأب شيخو فى التعليق على ذلك: كذا فى الأصل، وترجمها بلاشير Polytheisme أى الشِّرْك أو الكفر.

يصف فيها ما رآه فى بيت الذهب بأعالى أرض الهند ، وهو البيت الذى كان فيه البدرة[١] وهى أحد الأصنام الممثلة بالجواهر العلوية ، فجاوبه أرسطاطاليس بهذه الرسالة يعظه فيها ويزهده فى الدنيا ويرغبه فى النعيم الدائم .

فهؤلاء الخمسة هم سادة الحكماء عند اليونانيين والمعتنون بفنون الفلسفة ، ولهم فلاسفة مشهورون غير هؤلاء مثل فاليس الملطى[٢] صاحب فيثاغورس ، وذو مقراطيس[٣] القائل بانحلال الأجسام إلى جزء لا يتجزأ[٤] وله فى ذلك تآليف[٥] وأنكساجوراس[٦] وغيرهم ممن كان قبل أرسطاطاليس ومعاصرًا له .

وكان بعد أرسطاطاليس جماعة سلكوا سبيله وشرحوا كتبه ، فمن أجلهم ثامسطيوس[٧] والإسكندر الأفروديسى[٨] وخرفوريوس[٩] هؤلاء الثلاثة هم أعلم الناس بكتب الفيلسوف وأقعدهم بكتب الفلسفة ، ومن فلاسفة اليونانيين المتأخرين الذين كانوا فى عهد الإسلام وفى مملكة بنى العباس معاصرًا ليعقوب بن إسحاق الكندى قسط بن لوقا البعلبكى الشامى[١٠] مشهور التحقق بالعدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية ، وكان ماهرًا بصناعة الطب ، وله كتب مختصرة (ص ٢٣ من المخطوط) بارعة ، منها كتابه فى المدخل إلى الهندسة ، وهو مؤلف على المسألة والجواب لانظير له ، وكتابه فى المدخل إلى علم الهيئة والأفلاك وحركات النجوم ، وكتابه فى الفرق بين الحيوان الناطق والصامت ، وكتابه فى الفرق بين النفس والروح ، وكتابه فى نسبة الأخلاط ، وكتابه فى غلبة الدم وغير ذلك من كتبه .

---

(١) قال الأب شيخو معلقا على ذلك (ص ٢٧ هـ ٣) : كذا ولعله أراد البودة .

(٢) علق بلاشير على ذلك بقوله عن بيت الذهب وتمثال بوذا الموجود فيه : انظر معجم البلدان لياقوت تحت مادة الملتان (ص ٦٧ هـ ٢) Thales de Milet .

(٣) والمراد هنا Democrite.

(٤) انظر مخطوطة طبقات الحكماء لابن القفطى ص ١٨٣ .

(٥) المراد أجزاء لا تتجزأ .

(٦) Anaxagore.

(٧) Themistio وانظر عنه « الفهرست » لابن النديم ص ٢٥٣ .

(٨) Alexandre d'Aphrodisie .

(٩) Posphyre وهو فورفوريوس الصورى ، وانظر عنه الفهرست ص ٢٥٢ ، وابن القفطى ٥٤ وابن أبى أصيبعة ٦٩/١ ولكليرك ٢١٧/١ -- ٢١٨ .

(١٠) كتب لويس شيخو دراسة طيبة عن قسطا بن لوقا فى مجلة المشرق (٩٣/١٤) وانظر مخطوطة ح ك ص ٢٦٣ .

وأما علماؤهم المشهورون ببعض علـوم الفلسفـة المعتنـون بجزء من أجزائهـا فكثير .

فمنهم ثم من المحتفين بعلوم الطبيعة والطب بقراط سيد الطبيعيين فى عصره[١] ، مؤلف الكتب الجليلة فى صناعة الطب وغيرها من علوم الطبيعة وعلوم البرهان ، وقد ضم جالينوس أسماء تآليفه إلى فهرست يشتمل على أوراق وذكر مرتبة قراءتها ونبه على طريق تعلمها وهى مائة ونيف[٢] .

وقد قال أبو الحسن على بن الحسين المسعودى[٣] ، كان جالينوس بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتى سنة ، وبعد أبقراط بنحو ستمائة سنة ، وبعد الإسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف ، ولا أعلم من بعد أرسطاطاليس أعلم بعلم الطبيعة من هذين الفاضلين ، أعنى أبقراط وجالينوس ، ومن الطبيعيين سوى هذين : الشعاديس[٤] وأشعليادس ولوقش ويوليس وغيرهم [٥] ممن اشتهر بالعلم الطبيعى[٦] ، إلا أن أكثرهم ضعيف النظر بعيد عن الصواب، قد نبه أرسطاطاليس وجالينوس فى كتبهما[٧] على خطئهم وردًّا عليهم آراءهم بالحجج الصحيحة والبراهين الواضحة .

---

(١) عن هذا الطبيب المترجم له انظر كتاب الفهرست ص ٢٩٥ .
وكتاب القفطى ٢٦٢ – ٢٦٣ . وابن أبى أصيبعة جـ ١ ص ٢٤٤ – ٢٤٥ – انظر كتاب ابن العبرى Bar Hebraeuص ٢٥٩ .
وانظر مجلة المشرق مجلد ١٤ ص ٩٣ ولكليرك ١٥٧/١ – ١٥٩ .

(٢) عن أبقراط Hypocrates عند العرب انظر د . م . أ (الطبعة الفرنسية ٨٠٤/١) .

(٣) انظر كتاب التنبيه والإشراف ص ١٣٦ : كان جالينوس بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتى سنة وبعد أبقراط بنحو ستمائة سنة ، وبعد الإسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف .

(٤) كذا فى الأصل وهو تحريف والصحيح اسقليفيادوس والصورة التى يجدها القارئ هنا تحريف شديد ولا يمكن افتراض قراءة قريبة من الصحيحة له .

(٥) قال ريجى بلاشير فى التعليق على الترجمة الفرنسية له : وربما كانت صحته sclopiada de Prusse المتوفى سنة ٩٦ قبل الميلاد .

(٦) قال الأب شيخو فى التعليق على ذلك هذه الأسماء مصحفة لعله أراد بها استلابيوس وأريسطرا طوس ولوقس وفولوس (يريد فاولوس)
وهم أطباء من تلامذة أبقراط أو تبعته .

(٧) علق الأب شيخو على ذلك بقوله (٣/٢٨) نقل هذا ابن القفطى فى تاريخ الحكماء ص ٦١ .

ومن علمائهم الرياضيين أبولونيوس النجار صاحب (كتاب) المخروطات[1] المؤلف فى علم أحوال الخطوط المنحنية[2] التى ليست بمستقيمة ولا مقوسة[3] .

ومنهم أقليدس الصورى صاحب المدخل المشهور إلى علم الهندسة المعروف بكتاب الأركان ، وصاحب كتاب المعروضات وكتاب المناظر وكتاب تأليف اللحون وغير ذلك . وقال أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى فى بعض رسائله : إن بعض الملوك اليونانيين وجد فى خزائن الكتب كتابين منسوبين إلى أبولونيوس النجار ذكر فيهما صنعة [ص ٢٤ من المخطوط] الأجسام الخمسة التى لا تحيط كرة بأكثر منها ، فطلب من يفك له الكتابين فلم يجد إلا أقليدس ، وكان أعلم أهل زمانه بالهندسة فبسط له أمر الكتابين ، وشرح له غرض أبلونيوس منهما ، ثم وضع له صدرًا [للوصول][4] إلى معرفة هذه المجسمات الخمسة[5] فقامت من ذلك المقالات الثلاث عشرة المنسوبة إلى أقليدس ، وقد وصله بعد أقليدس بمقالتين ذكر فيهما مالم يذكره أفلونيوس[6] من نسبة هذه المجسمات الخمس بعضها إلى بعض ورسم بعضها من بعض[7] .

ومنهم أرشميدس صاحب كتاب « المسبع فى الدائرة » ، وكتاب « مساحة الدائرة » وكتاب « الكرة والأسطوانة المخروطة »[8] » ، ومنهم قطون[9] صاحب « العدد والمساحة » وله فيها كتب مشهورة، وكان فى آخر مملكة اليونانيين ، ومنهم سِنِيلفيوس[10]

---

(١) ترجمه ريجى بلاشير (ص ٧٠ من الترجمة هامش) تأليف أبونونيوس النجار المتوفى سنة ٢٠٥ ق . م وقد ترجم بلاشير الكتاب إلى العربية بإشراف أحمد بن موسى وثابت بن قرة ، انظر الفهرست ص ٢٦٧ ولكليرك ٢٢٧/١ .

(٢) ذكر ابن القفطى طبيبًا يونانيًا بهذا الاسم (ص ٩٥) وانظر لكليرك ٢٦٦/١ .

(٣) نقل هذا ابن القفطى فى تاريخ الحكماء ص ٦١ .

(٤) زيادة أخذناها من مخطوطة ح ب .

(٥) فى مخطوطة ح ك الخمس وهو أصح .

(٦) يريد أبولونيوس .

(٧) روى فى مخطوطة ح ك (٩٥) : أندرياسيوس وأنطيمرس . والصواب أدريانوس وأنطونينوس من تعليقات الأب شيخو على طبعته ص ٢٩ هـ ١ ، وانظر كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢٦٥ وابن القفطى ص ٢٦٤ ولكليرك ٢٢١/١ .

(٨) انظر كتاب الفهرست ٢٦٦ وابن القفطى ٦٧ و ٦٨ ولكليرك ٢٢٣/٢٢٢/١ .

(٩) كتبه بلاشير فاتون وقال إن الأصل كتبه قاطون وانظر ابن القفطى ٢٥٩ وابن العبرى فى Bar Hebraeus ١٠٦-١٠٧ ، ونحن لا نعرف عن هذه الشخصية شيئًا .

(١٠) قال بلاشير إنه Simplicius.

وكان بعد إقليدس ، ومنهم قوميرس[١] ، وأنوسندونيرس ، ومنهم طيمولاوس الراصد للكواكب الذى ذكر بطليموس بعض أرصاده فى كتابه ، وذكر أن وقته كان متقدمًا لوقته بأربعمائة سنة وعشرين سنة ، ومنهم ميلاوش وتاودوسيوس صاحب الأكر[٢] .ومنهم ميطُن[٣] وأقطيمُن[٤] الرصدان للكواكب بمدينة الإسكندرية من بلاد مصر ، وكان قبل بطليموس بخمسمائة سنة وإحدى وسبعين[٥] ، ومنهم إبَّرْخُس الفاضل صاحب الأرصاد الصحيحة والمباحث الجليلة ، وكان بعد ميطن وأقطيمن بقريب من ثلثمائة سنة .

ومنهم بطليموس القلوذى صاحب المجسطى[٦] وكتاب الجغرافيا وكتاب المناظر وكتاب المقالات الأربع[٧] فى أحكام النجوم وكتاب الموسيقى وكتاب الأنواء ، وكتاب القانون الذى استخرجه من كتاب المجسطى ، وكان فى أيام أنديامُوس وأيام أنطونيوس[٨] من ملوك الروم وبعد إفَّرْخُس[٩] . بمائتى سنة وثمانين سنة ، وكثير من الناس ممن يدعى المعرفة بأخبار الأمم يجعله أحد البطالمة اليونانيين الذين ملكوا بعد الإسكندر ، وذلك خطأ بين وغلط واضح ، لأن بطليموس ذكر فى كتاب المجسطى وفى النوع الثالث من [ص ٢٥ من المخطوط] المقالة الثالثة منه لجميع حركات الشمس وأرصادها وسائر أحوالها أنه رصد

---

(١) كتبه بلاشير Hermidis chrmides وقال بلاشير وهو ليس قوميرس كما هو فى الأصل المطبوع والقراءة الصحيحة لهذا الاسم نجدها فى مخالفات النص ص ٩٩ سطر ٥ من أسفل وانظر فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة باريس رقم ٦٧٣٥/١ ورقة ٥٨ وفيها يرد الاسم أبوسيونيوس ، وقال الأب شيخو فى تعليقاته على الأصل ص ٥/٢٩ لعلهما تصحيف أو ميرس وأبوسيدينوس (انظر مخطوطة ح ك ص ٦٧ - ٦٨ .

(٢) انظر عنه لكليرك ٢٩٩/١ .

(٣) ورد فى بعض النسخ الأخرى : ميطن ، وعلى هذه الصورة قرأه الأب شيخو والصواب ختون كما فى ح ك .

(٤) جاء فى ترجمة بلاشير بعد هذا الاسم وبين قوسين : الهامش (ص ١٠/٧١) انظر ابن القفطى (٦٨) وابن العبرى ٨٨ .

(٥) كتب الأب شيخو فى طبعته بعد ذلك : وإحدى وسبعين سنة . ولا معنى له ، وكذلك لم يذكر بلاشير هذه الزيادة فى ترجمته .

(٦) معظم كلام المؤلف عن بطليموس نقله بحرفه ابن القفطى فى تاريخ الحكماء ص ٩٥ (طبعة الأب شيخو ص ٢٩ هـ) .

(٧) فى الأصل : الأربعة .

(٨) كذا فى الأصل المخطوط وهو خطأ وصححه هدريان وأنطونين الإمبراطوران الرومانيان .

(٩) قال الأب شيخو فى تعليقاته ص ٨/٢٩ : كذا الصواب كما ورد فى مخطوطة ح . ك (٦٩) وفى الأصل مصحف بابن حسن ثم دعاه إخوخُس .

اعتدالا خريفيًا فى السنة التسع عشرة[1] من سنى أدريانوس ، فذكر أنه تجمع من أول سنى بخت نصر إلى وقت هذا الاعتدال الخريفى ثمانمائة سنة وتسع وتسعون سنة وثلاثون يوما (٨٩٩ سنة و ٣٠ يوما) وست ساعات[2] .

وجزأ هذه السنين فقال : إنه يجتمع من أول سن بخت نصر إلى موت الإسكندر يعنى الماقدونى جد الإسكندر ذى القرنين[3] أربعمائة سنة وأربع وعشرون سنة مصرية ، ومن موت الإسكندر إلى ملك أوغسطس ، يعنى أول ملوك الروم مائتا سنة وأربع وتسعون سنة ، ومن أول سنة من سنى ملك أوغسطس ، إلى وقت الرصد الخريفى المذكور مائتان سنة وإحدى وستون سنة وستة وستون يوما وساعات[4] ، فبين بطليموس بهذا التفصيل والتحميل حقيقة وقته ، وأن عصره كان بعد عصر أوغسطس بمائة وإحدى وستين سنة .

وأجمع أهل العلم بأخبار الأمم السالفة والمعرفة بتواريخ الأجيال الخالية ، أن أوغسطس هذا ملك رومى ، وأنه تغلب على قلوبطرا آخر ملوك البطالمة اليونانيين ، وفى هذا ما يبين خطأ من زعم[5] أنه أحد البطالمة[6] (أو البطالسة) الملوك ، وفيه كفاية إن شاء الله تعالى .

وإلى بطليموس هذا انتهى الكلام على حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك ، وعندما اجتمع ماكان متفرقا من هذه الصناعة بأيدى اليونانيين والروم وغيرهم من ساكنى أهل الشق الغربى من الإسقى وبه اجتمع شتيتها[7] وتجلى غامضها ، وما أعلم أحدًا بعده تعرض لتأليف مثل كتابه المعروف بالمجسطى ولا تعاطى معارضته ، بل تناوله بعضهم بالشرح والتبيين ، كالفضل بن حاتم التبريزى ، وبعضهم بالاختصار والتقريب

---

(١) كذا فى الأصل ، ولكن بلاشير يجعلها فى ترجمته عشرة أعوام (ص ٧٢ من الترجمة) ، ولعل ذلك كان فى مخطوطة أخرى ونقل ذلك كان فى مخطوطة غير مخطوطتنا ، والعبارة فى الأصل خطأ نحوى لأن الصحيح : فى السنة التاسعة عشرة من سنى أدريانس .

(٢) وفى مخطوطة أخرى : وستون يوما ، وقد جعلها بلاشير فى ترجمته ٣٩٩ وثلاثين يوما .

(٣) علق الأب شيخو على ذلك بقوله (ص ٣٠ هـ ٢) والصواب أن الإسكندر المقصود هو الماقدونى المعروف بذى القرنين لاجده .

(٤) فى مخطوطة ح . ك . وساعتان .

(٥) فى الأصل من تبين وفى مخطوطة ح . ك بيان خطأ من ظن .

(٦) فى مخطوطة ح . ك : البطالسة .

(٧) فى الأصل سيئها وفى مخطوطة ح . ك: شتيتها وقد أخذناه ، وهكذا قرأها وترجمها بلاشير ص ٧٣) .

كمحمد [ص ٢٦ من المخطوط] بن جابر البتاتى[١] وإنما غاية العلماء بعده يجرون إليها[٢] وثمرة عنايتهم التى يتنافسون [٣] فيها فهم كتابه على ترتيبه وإحكام جميع أجزائه على تدريجه[٤] ولا أعرف كتابًا[٥] أُلف فى علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بجميع أجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب :

أحدها : كتاب المجسطى هذا فى علم هيئة الفلك وحركات النجوم .

والثانى : كتاب أرسطاطاليس فى علم صناعة المنطق .

والثالث : كتاب سيبويه البصرى فى علم النحو العربى ، فإن هذه الكتب الثلاثة لا يشذ عن كل واحد منها من أصول علمه ولا من فروعه إلا مالا خطب له ، والله تعالى وحده مريد الإحاطة وفضيلة التمام لا رب غيره .

فهؤلاء شموس اليونانيين ومشاهيرهم فى الآفاق الذين انتفع الناس بآثارهم واستفادوا بأنوارهم واهتدوا بأعلامهم ، ولليونانيين بعد هذا عدة من الفلاسفة والحكماء قد قلد المؤلفون حكمتهم وجمعوا نوادرهم .

وذكر حنين بن إسحاق الترجمان ، وأبو نصر محمد بن نصر الفارابى المنطقى وغيرهما من العلماء بالفلسفة ، أن فلاسفة اليونانيين سبع فرق سميت بسبعة أشياء اشتقت لها من سبعة أشياء[٦] .

أحدها : من اسم الرجل المعلم الفلسفة .

والثانى : من اسم البلد الذى كان فيه مبدأ ذلك العلم .

والثالث : من اسم الموضع الذى كان يعلم فيه .

والرابع : من اسم التدبر[٧] الذى كان يدبر به .

---

(١) علق الأب شيخو هنا بقوله (ص ١/٣٢) وزاد فى مخطوطة ح . ك (٩٧) : وأبى الريحان البيرونى الخوارزمى مصنف كتاب القانون للمسعودى ، ألفه لمسعود بن محمود بن سبكتكين وحذا فيه حذو بطليموس ، وكذلك كوشيار بن لبان الجيلى فى زيجه .

(٢) فى مخطوطة ح . ك –بعد بطليموس .

(٣) فى الأصل : يحيرون والتصويب من مخطوطة ح . ك .

(٤) فى مخطوطة ح . ك مرتبته .

(٥) فى مخطوطة ح . ك يعرف كتاب .

(٦) علق الأب شيخو هنا بقوله : هذه القطعة عن فرق الفلاسفة رواها ح . ك . ص ٣٥ كمؤلفنا ونسبها مثله إلى حنين والفارابى .

(٧) فى ح . ك – التدبير .

والخامس : من الآراء التى فى [علم الفلسفة].

والسادس : من الآراء التى كان يراها فى[1] الغرض الذى كان يقصد إليه فى تعلم الفلسفة.

والسابع : من الأفعال التى كانت تظهر عليه فى تعليم الفلسفة .

فأما الفرق المسماة من اسم الرجل المعلم للفلسفة فشيعة فيثاغورس ، وأما الفرقة المسماة من اسم البلد الذى كان فيه الفيلسوف (فشيعة) أرسكيقوس من أهل قورينا[2] ، وأما الفرقة المسماة من اسم الموضع الذى كان يعلم فيه الفلسفة ، فشيعة كريفس[3] وهم أصحاب المظلة ، سموا بذلك لأنهم كانوا يتعلمون فى رواق هيكل مدينة أثينة ، وأما الفرقة المسماة من تدبير أصحابها وأخلاقهم فشيعة ذويوجانس[4] ، ويعرفون بالكلابية[5] وسموا بذلك لأنهم كانوا يرون اطراح الفرائض المفترضة على الناس فى المدن ، ومحبة أقاربهم وبغض غيرهم من سائر الناس ، وإنما يوجد هذا الخلق فى الكلاب ، وأما الفرقة المسماة من الآراء التى كان يراها أصحابها فى الفلسفة فشيعة فورون[6] ، وأما الفرقة المسماة فى الآراء التى كان يراها أصحابها فى الغرض الذى كان يقصد إليه فى تعلم الفلسفة فشيعة أفيفورس ويسمون أصحاب اللذة ، لأنهم يرون أن الغرض المقصود إليه فى تعلم الفلسفة اللذة التابعة لمعرفتها ، وأما الفرقة المسماة من الأفعال التى كانت تظهر عليها فشيعة أفلاطون وأرسطاطاليس ويعرفون بالمشائين[7] ، لأن أفلاطون وارسطاطاليس كانا يعلمان الناس وهما يمشيان كيما يرتاض البدن مع رياضة النفس فهذه طبقات الفلاسفة اليونانيين .

وأجلهم فرقتان : فرقة فيثاغورس وفرقة أفلاطون وأرسطاطاليس[8] ، وهاتان الفرقتان

---

(١) العبارة بين قوسين أسقطها الأب شيخو والغالب أنها لم تكن فى المخطوطة التى اعتمد عليها .

(٢) قال الأب لويس شيخو فى تعليقاته (ص ٣٢ هـ ١٠) كذا فى الأصل ، والصواب أرسطيوس أو أرسطبوس Aristippe وهذا التقسيم لمدارس الفلسفة ورد أيضًا فى كتاب ابن القفطى ٢٥ – ٢٦ . وقورينا هى قيرين .

(٣) Chrisippe وانظر ح . ك : ٣٥ و ٢٦٥ .

(٤) هو Diogeneأما الكلابية فترجمة للفظ Cynique.

(٥) فى الأصل : الكلاب وقد صوبتها وعرفت بالكلابية فى آخر تعليق لى فى الصفحة السابقة على هذه .

(٦) قال الأب لويس شيخو فى تعليقاته (ص ٣٢/٥) هو فوروس أو فيرون Fyrron الذى كان يعلم الشك فى كل الأمور Scepticisme ويزعم أنه ليس حقيقة ثابتة راهنة .

(٧) فى مخطوطة ح . ك : لأنهم كانوا يعلمون الناس وهم يمشون .

(٨) فى الأصل : تارة أرسطاطاليس وتارة أرسطوطاليس .

هما ركنا الفلسفة وعموداها ، وكان قد ماء هؤلاء الفلاسفة[1] ينتحلون الفلسفة الأولى الطبيعية التى كانت تذهب إليها شيعة فيثاغورس[2] وطاليس المالطى وعوام الصابئة[3] من اليونانيين والمصريين ، ثم مال متأخروهم إلى الفلسفة المدنية كسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وأشياعهم ، وقد ذكر ذلك أرسطاطاليس فى كتابه فى الحيوان فقال : « لما كان منذ مائة سنة وذلك منذ زمان سقراط مال الناس عن الفلسفة الطبيعية إلى الفلسفة المدنية » .

قال صاعد : وقدصنف جماعة من المتأخرين كتبًا على مذهب فيثاغورس وأشياعه ، وانتصروا فيها للفلسفة الطبيعية القديمة ، وممن صنف فى ذلك أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، وكان شديد الانحراف عن أرسطاطاليس وعائبًا[4] له فى مفارقته معلمه أفلاطون وغيره من متقدمى [ص ٢٨ من المخطوط] الفلاسفة فى كثير من آرائهم [5] ، وكان يزعم أنه أفسد الفلسفة وغير كثيرًا من أصولها ، وما أظن الرازى أحنقه أرسطاطاليس وحداه إلى تنقصه إلا ما آتاه أرسطاطاليس وأراد الرازى خاصته مما ضمنه كتابه فى العلم وكتابه فى الطب الروحانى ، وغير ذلك من كتبه الدالة على استحسانه لمذهب الثنوية فى الإشراك ولآراء البراهمة فى إبطال النبوة ولاعتقاد عوام الصابئة فى التناسخ ، ولو أن الرازى وفقه الله تعالى للرشد وحبب إليه نصر الحق لوصف أرسطاطاليس بأنه تَحَصَّى آراء الفلسفة ونخل مذاهب الحكماء فنفى خبثها وأسقطه عنها وانتقى لبابها واصطفى خيارها ، فاعتقد منها ما توجبه العقول السليمة وتراه البصائر الناقدة[6] وتدين به النفوس الطيبة ، وأصبح إمام الحكماء وجامع فضائل العلماء :

وليس على اللّـه بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد[7]

---

(١) فى الأصل : وكان حكماء يونان .

(٢) فى ح . ك : كان يذهب إليها فيثاغورس .

(٣) فى ترجمة بلاشير ص ٧٥ : Thales de Milet et tous les Sabéeys.

(٤) فى الأصل وغانيا وقد أصلحناها وانظر كتاب الفهرست ص ٢٩٩ وابن القفطى ٢٧١ و ٢٧٦ وابن أبى أصيبعة ٣٠٩/١ وبراون ص ٥٠ ومايليها ، والمسعودى التنبيه والإشراف ص ١١٢ .

(٥) توفى الرازى حوالى ٣٢٠ و ٣٣٢ هـ ٩٣٢ - ٩٤٣م وانظر عنه : الفهرست ص ٢٩٩ ، وابن القفطى ٢٧١ - ٢٧٦ وابن أبى أصيبعة ٣٠٩/١ ولكليرك ٣٣٧/١ - ٣٥٤ وبراون ص ٥٠ وما يليها والمسعودى : التنبيه والإشراف ١٦٢ - والمسعودى أيضًا ينكر على الرازى اتجاهاته المشابهة للفيثاغورية .

(٦) يمكن أن تكون أيضًا : النافذة .

(٧) هذا البيت لأبى نواس ، انظر ديوانه طبعة القاهرة ١٣٢٢ ص ٦٩ .

العلوم فى الروم

وأما الأمة الخامسة وهى الروم ، فأمة ضخمة المملكة فخمة الملوك ، وكانت بلادهم مجاورة لبلاد اليونانيين ، ولغتهم مخالفة للغتهم ، فلسفة اليونانيين الإغريقية ولغة الروم اللاطينية[١] .

وكان حد بلاد الروم من جهة الجنوب البحر الرومى الممتد طوله من المغرب إلى المشرق ما بين طنجة إلى الشام ، وحدها من جهة الشمال بعض ممالك الأمم الشمالية من الروس والبرغز[٢] ، وغيرهم مع طائفة من البحر الغربى الأعظم المحيط المعروف بأوقيانوس ، وحدها من جهة المشرق تخوم بلاد اليونانيين ، وحدها من جهة المغرب فى أقصى الأندلس البحر الغربى الأعظم المعروف بأوقيانوس .

وكانت هذه الممالك سبع قطع يتميز بعضها عن بعض ، فأولها من جهة المشرق وما يتاخم بلاد اليونانيين بلاد ألمانية ، ثم أوسطها بلاد إفرنسة ، ثم آخرها بلاد الأندلس فى أقصى الغرب وطرف المعمور .

وكانت قاعدة هذه المملكة كلها مدينة رومية العظمى من بلاد ألمانية[٣] [ص ٢٩ من المخطوط] وكان بانيها رومنش اللطينى[٤] وإليه تنسب ، وهو أول ملك مشهور من ملوك الروم ، وكان بنيان رومية قبل مولد المسيح عليه السلام بسبعمائة سنة وأربع عشرة سنة ، فاتصل ملك الليطينيين فى هذه المملكة المحدودة بعد بناء رومية سبعمائة سنة وخمس[٥] وعشرين سنة إلى قيام أغسطس أول ملوك القياصرة ، ثم تغلّب أغسطس هذا على ملوك اليونانيين ، وأضاف مملكتهم إلى مملكته ، فصارتا مملكة واحدة رومية عظيمة الشأن ، طولها من المشرق إلى المغرب نحو مائة مرحلة من تخوم بلاد أرمينية إلى أقصى بلاد الأندلس فى المغرب ، وصارت مدينة رومية قاعدة هاتين المملكتين معًا ، ودامت كذلك ثلثمائة سنة وخمسًا وثلاثين سنة إلى أن قام قسطنطين بن

---

(١) فى الأصل الطية وهو تصحيف وقد ترجمها بلاشير Le latine .

(٢) كذا فى الأصل والصواب البرغر وهم البلغار .

(٣) كذا فى الأصل ، وواضح أن صاعدًا لم يكن يعرف أن الدولة الرومانية الشرقية عندما سقطت فى أيدى القوط الشرقيين ، وقد قامت دولة القوط الشرقيين سنة ٤٧٦ واتخذت روما عاصمة لها ، ثم اتخذها البابوات قاعدة لهم .

(٤) فى الأصل رومش الطيبى وقد أصلحته .

(٥) فى الأصل : وخمسمائة . وقد أصلحته .

هيلانى[1] بدين المسيح ورفض دين الصابئة ، وبنى مدينته على الخليج وهى المنسوبة إليه المعروفة بالقسطنطينية فى وسط بلاد اليونانيين واستوطنها ، فصارت من حينئذ قاعدة ملك الروم إلى وقتنا هذا ، واستخلف منذ ذلك ملوك الروم على مدينة رومية ثقاتهم من الليطينيين ، فكانوا عمالهم عليها متعرفين تحت أمرهم فيها لا يسمون ملوكا ولا يتوجون .

ولم يزل ملوك الروم على هذه الحال من اتصال تملكهم وانتظام أمرهم فى هذه البلاد كلها إلى أن خرج بعد زمان طويل عن طاعتهم مَنْ قوى أمره من الأمم التى كانت منقادة إليهم من الصقالبة والبرجان وغيرهم وتميزت كل أمة بمملكتها .

وكان آخر من خرج عن طاعتهم ملك رومية[2] ، وذلك فى سنة أربعين وثلثمائة من الهجرة[3] حين قوى ملكه [4] وكثرت جموعه فلبس التاج وتسمى ملكًا ، وأنفذ إليه قسطنطين بن اليون[5] ملك الروم عند ذلك الجيوش فعادت منكوبة من ذلك فصالحه حينئذ ورضى بسلمه ، وتميزت بذلك مملكة الليطينيين من مملكة الإغريقيين من جهة مغاربها إلى ما يلى بلاد القسطنطينية ، وبعدت أعمالهم من أعمال رومية بما توسط بينهما من فرق [ص ٣٠ من المخطوط] الترك المتاخمة هناك والمخربة لكثير من عمائره ، فلا يصل أحد اليوم من القسطنطينية إلى رومية إلا فى البحر .

وكان الروم قديما صابئة إلى أن دان قسطنطين بن هيلانى[6] . بانى القسطنطينية بدين النصرانية ، ودعا الروم إلى التشرع به ، فأطاعوه وتنصروا عن آخرهم ورفضوا دينهم من تعظيم الهياكل وعبادة الأوثان وغير ذلك من شريعة الصابئة ، ولم يزل دين النصرانية يظهر ويقوى إلى أن دخل فيه أكثر الأمم المجاورة للروم من الجلالقة والصقالبة والبرجان

---

(١) فى الأصل ميلانى وهو خطأ ، والمراد قسطنطين بن هيلانة وهو الذى دخل المسيحية وأصدر قانونًا سنة ٣١٢م الذى جعل الديانة المسيحية ديانة الدولة الرومانية .

(٢) جاء فى تعليقات الأب شيخو (ص ١/٣٥ : فى الأصل ملوك رومية يريد الملوك الألمانيين الذين استولوا على إيطالية وقلدهم الأحبار الرومانيون السلطة على المملكة الرومانية . والمراد بالألمانيين الجرمانيين ،وقد استولى القوط الشرقيون منهم على روما وأقاموا مملكة ، أما الأحبار الرومانيون فيريد بهم البابوات .

(٣) كذا فى الأصل ، وهو خطأ والمراد : من السنوات الميلادية ، وذلك كله كان قبل الإسلام .

(٤) علق الأب شيخو على ذلك بقوله : يريد أوتون ألون الأول من الملوك الألمان .

(٥) يريد ليون وقال الأب شيخو فى تعليقاته على طبعته (ص ٤/٣٥) . وهو قسطنطين السادس المعروف بوفيروخينتى orphyrogentet لامس الأحمر

(٦) فى الأصل ميللون وهو خطأ من الناسخ .

والروس وجميع أهل مصر من القبط وغيرهم ، وجميع أصناف السودان من الحبشة والنوبة ومن سواهم .

وكان للروم فى بلاد أفريقية وغيرها حكماء أجلة علماء بأنواع الفلسفة ، وكثير من الناس يقولون إن الفلاسفة المشهورين الذين قدمنا ذكرهم فى عدد[1] اليونانيين روميون ، والصحيح أنهم يونانيون على ماقدمنا ، ولتجاور هاتين الأمتين – وتلاصق دورهم[2] وانتقال الملك من إحداهما إلى الأخرى حتى صار البلدان واحدًا والمملكة واحدة ، دخل بعضهم فى بعض فاختلط على كثير من الناس خبر علمائهم وصعب عليهم تمييز فلاسفتهم ، وكلا الأمتين عند أهل التحقق بعلم الأخبار ومعرفة أهل السير مشهورة العناية بالفلسفة رفيعة المحل فى أهل العلم ، إلا أن لليونانيين من المزية فى ذلك والفضل ما لا ينكره الرومانيون ولا سواهم ، والله تعالى أعلم .

وكان فى الدولة العباسية من ملوك الإسلام جماعة من النصارى والصابئين علماء بفنون العلم لا أعلم أمن اليونانيين هم أم من الروم أم من غيرهم من الأمم المجاورة لهم[3] .

فمن النصارى بختيشوع خدم أبا العباس السفاح وصحبه وعالجه ، ثم خدم أبا جعفر المنصور بعده ، فلما توفى حل ابنه محله بعده عند ملوك بنى العباس ، ولبختيشوع[4] تآليف فى الطب معروفة .

ومنهم يوحنا بن ماسويه ، خدم فى صناعة الطب هارون الرشيد والمأمون وبقى إلى أيام المتوكل ، وكان قلده هارون ترجمة الكتب القديمة التى وجدت بأنقرة [ص٣١ من المخطوط] وبغيرها من بلاد الروم حين افتتحها المسلمون فترجم منها كثيرًا إذْ له فى الطب تآليف عظيمة القدر ككتاب البرهان وكتاب البصيرة[5] وكتاب « الكمال »

---

(١) كذا والأصح : عداد .

(٢) قال الأب شيخو فى تعليقاته (ص ٣٥ هـ ٧) : والصواب دورهما .

(٣) علق الأب شيخو على ذلك (ص ١/٣٦) بقوله : بل من الكلدان النساطرة والسريان اليعاقبة وبعضهم من الروم الملكيين (ويقال أيضًا الملكانيين) .

(٤) قال الأب شيخو فى تعليقاته على طبعته (ص ٣٦ هـ ٢) عرف كثير من العلماء بهذا الاسم : راجع فى مجلة المشرق (١٠٩٧/٨) مقالة الأديب يوسف أفندى فى بختيشوع الطبيب وأسرته .

(٥) فى الأصل غير واضحة ، وقد قرأها الأب شيخو : البقرة ووضع بعدها علامة تعجب وعلامة سؤال مما يدل على أنه لم يكن مطمئنا إلى قراءته .

وكتاب « الحميات » وكتاب « الفصد والحجامة » وكتاب « الجذام » وكتاب « الحمام » وكتاب « إصلاح الأغذية » وكتاب « المعدة » وكتاب « الأدوية المسهلة » والكتاب المعروف « الكناش » المعروف باسم المصغر[1] وغير ذلك .

ومنهم جنين بن إسحاق أبو زيد[2] تلميذ يوحنا بن موسيه أحد أئمة التراجم بالإسلام ، وكان عالما باليونانية والعربية ، وتعلم العربية فى البصرة من الخليل بن أحمد[3] . وهو أدخل كتاب العين بغداد ، ولم يكن الخليل بن أحمد بأرض فارس وإنما كان بالبصرة ، وتوفى بها سنة سبعين ومائتين (هـ/ ٨٨٣م) ، وبين وفاته ووفاة حنين المذكور تسعون سنة فانظر ، وذكر ابن النديم فى الفهرست (ص ٢٩٤) أن حُنَيْنًا مات فى يوم الثلاثاء لست خلون من صفر سنة ستين ومائتين (هـ/ ٨٧٣م) وهو الصواب ، ومات إسحاق (بن حنين) فى سنة ٢٩٨ (هـ/ ٩١١م) ، وقال أبومعشر فى كتاب المذاكرات إن حذاق التراجمة بالإسلام أربعة : حنين بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق الكندى ، وثابت بن قرة الحرانى ، وعمر بن فروخان الطبرى[4] .

قال صاعد : وحنين هذا هو الذى أوضح بحسن ترجمته كتب أبقراط وجالينوس ولخصها أحسن تلخيص ، وله تواليف بارعة وموضوعات شريفة منها « كتابه فى المنطق » وكتابه فى مدخل المنطق « وكتابه فى الأغذية » وكتابه فى « تدبير الناقهين » وكتابه فى « الأدوية المسهلة » وغير ذلك من كتبه ، ومات حنين فى أيام المتوكل وخلف ولدين سمى أحدهما إسحاق والآخر داود ، فأما إسحاق فخلف أباه على الترجمة وكان بارعا فيها ومقدما فى العلوم الرياضية ، وأما داود فطبيب محسن .

ومنهم مسيح بن حكم صاحب « الكناش » المشهور[5] .

---

(١) قرأها الأب شيخو المشجر ، وقال إن الأصل فى المخطوط « المسحر » وأصلحها هو .

(٢) عن حنين بن إسحاق انظر د . م . أ « الطبعة الفرنسية » ٣٧٥/٢ .

(٣) اشتهر الخليل بن أحمد بكتاب العين ، وهو قاموس مرتب الألفاظ على اعتبار أن حرف العين أول حروف المعجم ، انظر عنه مجلة الإسلام Der Islam XXV fasc. 2-4, 1926 وقد كان الخليل بن أحمد حقيقة من عباقرة التاريخ الحضارى الإسلامى .

(٤) فى المخطوط : عمر بن حرمان وهو خطأ .

(٥) هو طبيب اسمه الحقيقى عيسى بن حكم المسمى بمسيح ، وهو من أهل دمشق ، وكان معاصرًا للرشيد ، انظر كتاب الفهرست ص ٢٩٧ وابن القفطى ٢٤٩–٢٥٠ وابن أبى أصيبعة ١/ ١٢٠–١٢١ وبراون ص١٨ .

ومنهم نسطاس بن جريج المصرى ، كان فى دولة الأخشيد بن طغج ، وكان عالما فى الطب بارعًا فيه[1] .

ومن الصابئين[2] أبو الحسن ثابت بن قرة الحرانى[3] ، فيلسوف متوسع فى العلوم ، متفنن فى ضروب الحكم ، متقلد لجوامع الفلسفة [ص ٣٢ من المخطوط] له تآليف حسنة فى المنطق والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك ، وكان معاصرًا ليعقوب بن إسحاق الكندى وقسطا بن لوقا ، وكان ثلاثتهم أعلامًا فى مملكة الإسلام بعلم الفلسفة فى وقتهم ، ولثابت أرصاد حسنة للشمس تولاها في بغداد فى خلافة المأمون جمعها فى كتاب بين فيه مذاهبه فى السنة الشمسية ، وما أدركه بالرصد من موضع أوجها ومقدار سنتها وكمية حركتها وصورة تعديلها . وكان له ابن يسمى سنان بن ثابت عالم بالعدد والهندسة والطب وابنه ثابت بن سنان بن ثابت أحد المتحققين بصناعة الطب ، كان فى أيام المطيع وفى إمارة أحمد بن الديلمى الأقطع المعروف بمعز الدولة[4] .

وذكر ابن النديم فى كتابه الفهرست أن ثابت بن قرة مولده سنة إحدى وعشرين ومائتين (هـ/٨٣٦م) وتوفى سنة ثمان وثمانين ومائتين[5] (هـ/٩٤٢م) ومات ابنه ثابت سنة ثلاثمائة وخمس وستين (هـ/٩٧٦م شمسية) .

---

(١) انظر عنه ابن القفطى ص ٣٣٧ ولكليرك ٤٠٢/١ .

(٢) المراد هنا الصابئين من أهل حران .

(٣) انظر عنه لكليرك ١٦٨/١ - ١٧٢ ودائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الفرنسية) جـ ٤ ص ٣١٩ أو ص ٧٧ ومايليها والمراجع .

(٤) انظر عنه كتاب الفهرست ص ٣٠٢ وابن القفطى ١٠٩ ولكليرك ٣٦٨/١ .

(٥) جاء فى هامش المخطوط أمام هذا السطر : وله سبع وسبعون سنة شمسية .

الباب السادس

العلوم فى أهل مصر

أما الأمة السادسة[1] وهى أمة أهل مصر ، فكانوا أهل ملك عظيم وعز قديم فى الدهور الخالية والأزمان السالفة ، يدل على ذلك آثارهم فى عمائرهم وهياكلهم وبيوت علمهم الموجود أكثرها فى الإقليم إلى يومنا هذا ، وهى آثار أجمع أهل الأرض أنه لا مثيل لها فى إقليم من الأقاليم .

فأما ما كان قبل الطوفان فجهل خبره وبقى أثره ، مثل الأهرام والبرابى والمغاور المنحوتة فى جبال الإقليم إلى غير ذلك من الآثار الموجودة . وأما بعد الطوفان فقد صار أهل الإقليم[2] أخلاطًا من الأمم ما بين قبطى ويونانى ورومى وعمليقى وغيرهم ، إلا أن جمهرتهم قبط[3] ، وإنما صاروا أخلاطًا لكثرة من تداول ملك مصر من الأمم السالفة من العمالقة واليونانيين والروم ، واختلطت الأمم فيها لذلك ، وخفى على الناس تخليص أنسابهم فاختصر من[4] التعريف بهم على نسبتهم إلى مواضعهم من بلد مصر فى الطول من برقة التى هى جنوب البحر الرومى إلى أيْلَة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين ، ومسافة ذلك قريبة[5] من أربعين يوما ، وحدها فى العرض من مدينة أسوان التى بأعلى نيل مصر وما سامتها من أرض الصعيد الأعلى المتاخم لأرض النوبة إلى مدينة رشيد وما حاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى وما اتصل بذلك ، ومسافته قريبة من[6] ثلاثين يومًا .

وكان أهل مصر فى سالف الأزمان صابئة ، تعبد الأصنام وتدبر الهياكل[7] ثم تنصَّرت

---

(١) قال الأب شيخو معلقًا على ذلك فى تحقيقه لطبقات الأمم : هذا الوصف لقدماء أهل مصر وعلومهم ومشاهيرهم قد نقله بحرفه عن كتابنا ابن القفطى فى تاريخ الحكماء (ص٣٤٧ - ٣٥٠) .

(٢) قال الأب شيخو فى تعليقاته على طبعته (ص ٣٨ هـ ٢) كل هذا سقط من الأصل وذكر فى تاريخ ابن القفطى وهو موجود لحسن الحظ فى مخطوطتنا .

(٣) فى مخطوطة ح ك : الغلبة والكثرة للتبط .

(٤) فى بعض المخطوطات : على .

(٥) كذا فى الأصل وفى بعض المخطوطات : قريب .

(٦) فى بعض المخطوطات : قريب .

(٧) فى بعض المخطوطات تدين بالهياكل ولا بأس به .

عند ظهور دين النصرانية ، ولم تزل على ذلك إلى أن افتتحها المسلمون وأسلم بعضهم وبقى سائرهم على دينهم أهل ذمة إلى اليوم .

وكان لقدماء أهل مصر الذين كانوا قبل الطوفان عناية بأنواع العلوم وبحث عن[1] غوامض الحكم ، وكانوا يرون [ص٣٣ من المخطوط] أنه كان فى عالم الكون الفساد قبل نوع الإنسان أنواع كثيرة من الحيوان على صور غريبة وتراتيب[2] شاذة . ثم كان نوع الإنسان فغلب تلك الأنواع وقاتلها حتى أفنى أكثرها وشرد بقيتها إلى البرارى والفلوات ، فمنهم الغيلان والسحالى وغير ذلك مما ذكره عنهم الوصيفى فى[3] تاريخه المؤلف فى أخبار مصر . فإن كان ذلك حقًا عنهم فما أبعدهم فى الرأى عن نظام الحكمة وقانون الفلسفة .

وذكر جماعة من العلماء أن جميع العلوم التى ظهرت قبل الطوفان ، إنما صدرت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى ، وهو الذى يسميه العبرانيون خنوخ بن يارد بن مهلائيل بن أنوس[4] بن شيث بن آدم عليه السلام[5] ، وهو إدريس النبى عليه السلام ، وقالوا إنه أول من تكلم فى الجواهر العلوية والحركات النجومية ، وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها ، وأول من نظر فى علم الطب ، وألف لأهل زمانه قصائد موزونة فى الأشياء الأرضية والسماوية ، وقالوا إنه أول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء أو النار فخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع ، فبنى الأهرام والبرابى فى صعيد مصر الأعلى ، وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصًا منه على تخليدها لمن بعده وخيفة أن يذهب اسمها من العالم[6] .

قال صاعد : وكان بمصر بعد الطوفان علماء بضروب علم الفلسفة من العلوم

---

(١) فى مخطوطة ح ك : على :

(٢) فى بعض المخطوطات : وتراكيب .

(٣) لم أجد حقيقة هذا المؤرخ العربى .

(٤) فى مخطوطة ح ك : ابن قينان بن أنوش .

(٥) فى مخطوطة ح ك صلغم .

(٦) لا أدرى إن كان من الممكن القول بأن المراد هرمس هذا هو الطبيب العلامة المصرى القديم إمحتب . وهنا قال الأب شيخو تعليقا على هذه العبارة ح ك : والله أعلم ، قلنا : واليوم قد تقرر أن هذه الأهرام والتصاوير كلها بعد الطوفان .

الرياضية والطبيعية والإلهية وخاصة بعلم الطِّلسمَات والنيرنجات والمرائى المحرقة[1] والكيمياء وغير ذلك ، وكانت دار الملك والعلم بمصر فى قديم الدهر مدينة منف[2] وهى على اثنى عشر ميلا من الفسطاط ، فلما بنى الإسكندر مدينة الإسكندرية رغب الناس فى عمارتها لحسن هوائها وطيب مائها ، فكانت دار العلم والحكمة[3] بمصر إلى أن تغلب عليها المسلمون واختط عمرو بن العاص على نيل مصر مدينته المعروفة بفسطاط مصر ، فانسرب أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم[4] [ص ٣٤ من المخطوط] إلى سكناها ، فصارت قاعدة[5] مصر من حينئذ[6] إلى اليوم .

ومن قدماء العلماء بمصر هرمس الثانى[7] ، وكان فيلسوفًا جوالا فى البلاد ، طوافًا على المدائن ، عالما بنُصُب أهلها وطبائع أهلها ، وله كتاب جليل فى صناعة الكيمياء ، وكتاب فى الحيوانات ذوات السموم .

ومن علمائهم بعده بصناعة العدد بوقطوس[8] الإسكندرانى صاحب المقالات الأربع فى طبيعة العدد وخواصه ، ومن علمائهم بالهندسة وعلم هيئة الأفلاك وحركات النجوم بيون[9] الإسكندرانى صاحب كتاب الأفلاك ، فذكر فيه هيئة الأفلاك وعددها وكمية حركات الكواكب ذكرًا مرسلا مجردًا من البرهان على ما ذهب إليه بطليموس فى كتاب المجسطى . وأما كتاب القانون فإنه اختصر فيه تعديل الكواكب وصور تقويمها على رأى بطليموس ، وزاد فيه حساب حركات إقبال الفلك وإدباره على رأى أصحاب الطلسمات .

ومن علمائهم ورؤوسهم صاحب الكتب الجليلة فى صناعة الكيمياء ، ومنهم

---

(١) فى الأصل : والمرآى المحرقة ، وهو جمع غير صحيح للمرآة . وقد جعلتها فى النص والميرائى وهو جمع غير مألوف لمرآة والصحيح والمرايا ، وقد ترجم بلاشير هذه العبارة بقوله : Surtout dans la composition des talismans, des enchantements et les miroires ardentes, dans l'alchimie.

(٢) أمناف مخطوط ح ك – هنا : وهى فى القبطية مافة .

(٣) فى مخطوطة ح ك : دار الحكمة .

(٤) فى ح ك . من العرب وغيرهم .

(٥) فى ح ك : قائدة .

(٦) فى ح ك من ذلك الوقت .

(٧) فى طبقات الحكماء : عالما بالبلاد ونصبها . وفى مخطوطة ص . ب : عالما بنصبة المدائن وطبائعها .

(٨) وفى مخطوطة ح ك ص ٩٨ : برقفوس ، وقال الأب شيخو ص ٤٠ من طبعته برقطوس وقال بعد ذلك وفى طبقات الحكماء (ص٩٨) برقطوس ولعل الصواب برقلوس .

(٩) فى كتاب الفهرست ص ٢٦٨ : « تاوون ، وهو Theon الإسكندرى وانظر لكليرك ١/ ٢٣٠ .

الإسكندرانيون الذين اختصروا كتب جالينوس الحكيم وألفوها على المسألة والجواب ودل حسن اختصارهم لها على معرفتهم بجوامع الكلم وإتقانهم لصناعة الطب ، وكان رئيسهم أنقيليدوس الذى جمع من منثور كلام جالينوس ثلاث عشرة مقالة فى أسرار الحركات ألفها فيمن جامع وبه علة مزمنة ، فذكر ما يدل عليه ذلك وما يدفع به ضرره .

ومن علمائهم بأحكام النجوم واليس[1] صاحب الكتاب المعروف باليرندج[1] الرومى المؤلف فى المواليد ، وما يتقدمها من المدخل إلى علم أحكام النجوم . وذكر عنه الاندوز[2] فى كتابه المؤلف فى المواليد أن كتبه العشرة فى المواليد جامعة لقوة سائر الكتب وأن واليس قال : وأن كل علم يزعمون أنه ليس فى كتبه هذه فلا أصدق أنه كان أو يكون ، ولا أعلم لأحد ممن ذكرت من علماء الإسكندرية زمانًا محدودًا ولا خبرًا مستقصى ولا وصل إلينا من حكمتهم إلا القليل النزر بالإضافة إلى ما تشهد به آثارهم بصعيد مصر [ص٣٥ من المخطوط] ومصانعهم الجليلة فى سائر نواحيها من عجائب البرابى وغرائبها الدالة على سعة علمهم والمنبئة على نفاسة أخطارهم .

---

(١) عن هذا العلامة انظر ابن القفطى ٧١ ولكليرك ١/٤٠-٤١ وانظر أيضًا كتاب الفهرست (ص٢٦٩) وهو يسميه فاليس ، وقال الأب شيخو : وقد نقل صاحب تاريخ الحكماء هذه القطعة فى كتابه (ص٢٦١) قال : فاليس المصرى وربما قيل واليس الرومى كان حكيما فاضلا فى الزمن الأول .

(٢) قال الأب شيخو فى تعليقاته (ص ٤١ هامش ٢) وفى الفهرست : بالزبرج وفى ح ك بالبريدج ورجع بلاشيرفى ترجمته إلى ما ذكره بهذه المناسبة ابن القفطى ص٢٦١ سطر ٧ وترجمته تختلف بعض الشىء عن الأصل قال : وقال اليدغر (وهذه هى ترجمة لفظ الأندوز الوارد فى الأصل ولم أعرف من أين أتى بهذا اللفظ وربما كانت قراءة للفظ الديدغر . ص٨٧ من الترجمة .

العلوم عند العرب

وأما الأمة السابعة وهى العرب ، فمنهم فرقتان[1] : فرقة بائدة وفرقة باقية ، فأما الفرقة البائدة فكانت أمما فخمة كعاد وثمود وطسَم وجديس والعمالقة وجُرْهُم ، أبادهم الزمان وأفناهم الدهر بعد أن سلف لهم فى الأرض ملك جليل وخير مشهور ، لا ينكر لهم ذلك أحد من أهل العلم بالقرون الماضية والأجيال ، ولتقادم انقراضهم ذهبت حقائق[2] أخبارهم ، وانقطعت عنا أسباب العلم بآثارهم .

وأما الفرقة الباقية فهى متفرقة[3] ومن جذمين : قحطان وعدنان ويضمهما جميعًا حالان : حال الجاهلية وحال الإسلام .

فأما حال العرب فى الجاهلية فمشهورة[4] عند الأمم من العز والمنعة ، وكان مُلْكُهُمْ فى قحطان[5] ، ثم فى سبع قبائل منها وهى حمير وهمدان وكندة ولخم ودوس [وجفنة] ومذحج . وكان بيت الملك فيهم بنو الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيران[6] بن قيطان بن عريب بن زهير بن أيمن بن أبى الهميع بن حمير[7] . وسائر الملوك أتباع ، فكان من بنى الصوار الملوك السادة والجبابرة والتبابعة أهل الشرف القديم والعز التليد والملك الموطد والمجد المؤثل الذين دوخوا البلاد وضعضعوا الممالك وتركوا الآثار العظيمة والأخبار الشريفة فى مشارق الأرض ومغاربها وجنوبها

---

(١) علق على ذلك الأب شيخو فى طبعته (ص ٤١ هـ/ ٤) : نقل ابن العبرى فى تاريخ مختصر الدول قول صاعد عن العرب (ص١٥٨) من طبعة الأب أنطون صالحانى ، ونشير إليها بحرفى عب : (= ابن العبرى) واختصره الحاجى خليفة فى كشف الظنون (١/ ٧٥) .

(٢) فى مخطوطة ع . ب حقيقة .

(٣) فى كتاب ابن العبرى : متفرعة .

(٤) فى مخطوطة ع . ب : فحال مشهور .

(٥) فى مخطوطة ع ، ب فى قبائل قحطان .

(٦) جاء فى ترجمة بلاشير ص ٨٩ ، حيران أو جيدان ، أما جفنة الواردة بين قوسين فلم توجد فى طبعة شيخو أو ترجمة بلاشير .

(٧) أحال الأب شيخو هنا إلى تاريخ ابن خلدون جـ ٢ ص ٥١ ، وهو على حق فى هذه الإشارة ، فإن التفاصيل هناك كثيرة عن أمم العرب اليمنية قبل الإسلام ، ولم يحقق أحد هذه الأقوال إلى الآن ، وأشار بلاشير فى ترجمته « ص٨٩ هـ/١ إلى كتاب فستنفلد

F. Wuestenfeld: Genealogische Tabellen der Arabischen Stämme und Familie, vol. 1, Guettingen 1852.

جدول ٣ ص١٠٤ سطر ١ - ٥ ، وعلى أى حال فإنه يصعب تحقيق المعلومات الكثيرة التى يوردها مؤرخو العرب عن اليمنيين قبل الإسلام ، وليس هناك ما يؤيدها فى تواريخ البلاد التى يقولون إنهم غزوها .

وشمالها كيعرب بن قحطان وسبأ بن يشجب والحارث الرائش وأبرهة ذى المنار وعمرو ذى الأذعار وأفريقس بانى أفريقية ، وشمر يرعش بانى سمرقند وتبع الأكبر وتبع الأوسط واسمه أسعد ويكنى أبو كرب ، وهو الذى يقول فيه أبو تمام حبيب بن أوس الطائى ويصف عمورية :

وبرزةُ الوجـــه قـد أعيت رياضتُهـــا
كسرى ، وصدت صدودًا عن أبى كرب

وتبع الأصغر وهو عمرو [ص ٣٦ من المخطوط] بن حسان بن أبى كرب ، وكان لهؤلاء الملوك مذهب فى آثار أحكام النجوم وميل إلى معرفة طبائعها ، وزعم أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى فى كتاب الإكليل المؤلف فى أخبار حمير وأنسابها : أن ملوك حمير لم يكونوا يستعملون من قوادهم ولا يُصَرِّفون[1] من كفاهم إلا من عرفوا مولده ووجدوا أدلته من البروج والكواكب موافقة لأدلتهم ومشاكلة لها .

وإنما كانوا إذا أرادوا غزو أمة من الأمم ، تخيروا لذلك الأوقات السعيدة والطوالع المشاكلة لمواليدهم والملائمة لنصب[2] دولتهم ، ومكثوا فى ارتيادها الأزمان الطويلة حتى تمكنهم على اختيارهم ، فكانوا يبلغون بهذا حيث شاءوا من المراتب العالية ، والمنازل الرفيعة من الظفر بالأعداء وبعد الصيت فى البلاد .

قال صاعد : ولم تكن ملوك حمير معتنية بأرصاد الكواكب ولا باختيار حركاتها ولا بإيثار شىء من علوم الفلسفة ، وكذلك كان سائر ملوك العرب فى الجاهلية ، ولم يبلغنا عن أحد منهم أنه بحث فى شىء من ذلك .

وأما سائر عرب الجاهلية[3] بعد الملوك فهم كانوا طبقتين :

أهل مدر وأهل وبر ، فأما أهل المدر فهم أهل الحضر وسكان القرى ، وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والكرم والماشية ، والضرب فى الأرض للتجارة وغير ذلك من ضروب الاكتساب ، ولم يكن فيهم عالم مذكور ولا حكيم مشهور .

وأما أهل الوبر فهم قطان الصحارى وعمار الفلوات ، وكانوا يعيشون من ألبان الإبل ولحومها ، وكانوا زمان النجعة ووقت التبدى يراعون جهات إيماض البرق ومنشأ السحاب

(١) فى المخطوط « عن » وهو خطأ فى الغالب لا تستقيم به العبارة .
(٢) كذا فى المخطوط والأصح : لنصر .
(٣) هنا عاد ابن العبرى (ص ١٥٨) إلى نقل كلام صاعد .

وجلجلة الرعد ، فيؤمونها منتجعين لمنابت الكلأ مرتادين لمواقع القطر ، ويخيمون هناك ما ساعدهم الخصب ، وأمكنهم الرعى ، ثم يقومون[1] لطلب العشب وابتغاء المياه ، فلا يزالون فى حل وترحال[2] كما قال المثقب العبدى فى ناقته :

تقول إذا دَرَأتُ لها رَضينى ... أهـــذا دينـــه أبدًا ودينى
أكل الدهر حـل وارتحال[3] ... أمـا تُبْقِى علىَّ ولا تقـينى

[ص ٣٧ من المخطوط] فكان ذلك دأبهم زمان الصيف والقيظ والربيع ، فإذا جاء الشتاء واقْشعرت[4] الأرض وهَدَّتْ انكمشوا إلى أرياف العراق وأطراف الشام ، وركبوا إلى القرب من الحواضر والدنو من القرى فثبتوا هناك مُقَاسِينَ جُهْدَ الزمان ومصطبرين على جهد العيش ، وهم خلال ذلك يتواصون بقوتهم ، ويتشاركون فى بلغتهم ، مدمنون على إباء الضيم ونُصْرة الجار والذَّبِّ عن الحرم[5] .

وكانت أديانهم مع ذلك مختلفة ، فكانت حمير تعبد الشمس ، وكنانة القمر ، وتميم الدَّبَران[6] ، ولخم وجذام المشترى ، وطيىء سهيلا ، وقيس الشعرى والحَبور ، وأسدٌ عطارد ، وكانت ثقيف وإياد تعبد شيئًا ما على نخلة[7] يقال له اللات ، ثم عبدت إياد وبكر بن وائل كعبة شداد ، وكان لحنيفة صنم يعبدونه من حَيْسٍ فلحقتهم مجاعة فى بعض السنين فأكلوه ، فقال فى ذلك بعض الشعراء :

أكلتَ حنيفةُ رَبَّهَـــا ... عـام التقحُّم والمجـاعه
لم يحذروا من ربهـم ... سوء العواقب والتَّباعه

قال ابن قتيبة[8] : كانت النصرانية فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة ، وكانت اليهودية

---

(١) فى الأصل يقوضون ، وقد قومته ، وفى مخطوطة ع . ب . يتوجهون .
(٢) فى الأصل : ورحال ، وما أثبته فى النص أخذته عن مخطوطة ع ب .
(٣) كتب الشاعر هذين البيتين على لسان الناقة التى تقول إذا حَلَبَها صاحبها : هل هذا شأنه فى الحياة وشأنى : طول الدهر نحن فى حل وترحال : أما تبقى على أيها الرجل وتحمينى ؟ ، وعن المثقب العبرى الشاعر انظر : ابن قتيبة : كتاب الشعر والشعراء ص٢٣٣ – ٢٣٥ .
(٤) اقشعرت الأرض أى تعرت من النبات وصارت من غير نبات .
(٥) كذا فى الأصل الحرم ، والحريم وردت فى مخطوطات أخرى .
(٦) الدبَران : جاء فى المعجم الوسيط الدَّبَران فى علم الفلك : خمسة كواكب من الثور ، ويقال إنها سَنَامه ، وهو من منازل القمر ، وقيل : نَجْمٌ بين الثُّرَيَّا والجوزاء انظر جـ١ مادة دبر .
(٧) كذا فى الأصل وفى مخطوطات أخرى : بيتًا بأعلى نخلة وهو أصح .
(٨) انظر كتابه « المعارف » طبعة مصر : ص ٣٠٥ .

فى حمير وبنى كنانة وبنى الحارث بن كعب وكندة ، وكانت المجوسية فى تميم منهم زرارة بن عدس وابنه حاجب والأقرع بن حابس وأبو سود جدوكيع بن حسان بن أبى سود ، وكانت الزندقة فى قريش ، أخذوها عن أهل الحيرة ، وكانت عبادة الأوثان فاشية فى العرب حتى جاء الإسلام .

قال صاعد : وجميع عبدة الأوثان من العرب موحدة للّه تعالى ، وإنما كانت عبادتهم لها ضربًا من التدين بدين الصابئة فى تعظيم الكواكب والأصنام الممثلة بها فى الهياكل[1] لا على ما يعتقده الجهال بديانات الأمم وآراء الفرق مع أن عبدة الأوثان ترى أن الأوثان هى الآلهة الخالقة للعالم ، ولم يعتقد قط هذا الرأى صاحب فكرة ولا دان به صاحب العقل . ودليل ذلك قول اللّه تبارك وتعالى : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلى اللّه زُلْفَى﴾[2] وجاء نص القرآن بمخالفتهم فى البعث [ص ٣٨ من المخطوط] والنشور ونبوة محمد ﷺ فكان جمهورهم ينكر ذلك لا يصدق بالمعاد ولا يقول بالجزاء ، ويرى أن العالم لا يخرب ولا يبيد وإن كان مخلوقًا مبتدعًا ، وكان فيهم من يقر بالمعاد ، ويعتقد إنْ نُحِرَتْ ناقته على قبره حُشِرَ راكبًا ، ومن لم يفعل ذلك حشر ماشيًا ، وفى ذلك يقول خزيمة بن الأشيم الفقعسى يوصى ابنه :

يا سعد إما أهلكن فإننى ... أوصيك أن أخا الوصاة الأقرب
لا تتركنَّ أباك يمشى خلفهم ... تَعِبًا يخر على اليدين ويُنْكَبُ
احمل أباك على بعير صالح ... وابقِ الخطيئة إنه هو أصوب
ولعل مالى ما تركت مطية ... فى البُهْم أَرْكَبُهَا إذا قيل اركبوا[3]

فهذه كانت ديانات العرب .

---

(١) ترى هنا أن صاعدًا يرى أن فى الوثنية إيمانًا باللّه وتوحيدًا له ، وهذا رأى يدل على ذكاء صاعد وحسن فهمه للتاريخ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٣ ، والآية الكاملة توضح ما يريده صاعد بصورة أكمل : ﴿ألا لِلّه الدِّينُ الخَالِصُ والَّذِينَ اتَّخَذُوا من دُونِهِ أَوْلِيَاء . ما نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إلى اللّهِ زُلْفَى إنَّ اللّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إنَّ اللّهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَ كاذِب كَفَّارٌ﴾ .

(٣) قال بلاشير فى تعليقاته على ترجمته لكتاب طبقات الأمم وكتاب أبى المعالى يسمى عرض الأديان Exposè des religions(ص ٩٣ هـ) إن هذه الأبيات التى وردت فى كتاب عن الأديان لأبى المعالى ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية ماسيه Massè ونشرت هذه الترجمة فى مجلة تاريخ الأديان سنة ١٩٢٦ ولكنها هناك غير منسوبة لأحد .

وأما علمها الذى كانت تتفاخر به وتبادى به ، فعلم لسانها وإحكام لغتها ونظم الأشعار وتأليف الخطب ، وكانت مع ذلك أصل علم الأخبار ومعدن معرفة السير والأمصار ، قال أبو محمد الهمدانى : ليس يوصل إلى خبر من أخبار العجم والعرب إلا بالعرب ومنهم ، وذلك أن من سكن بمكة من العماليق وجرهم وآل السميع بن هونة وخزاعة أحاطوا بعلم العرب العاربة والفراعين العاتية ، وأخبار أهل الكتاب[1] ، وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون أخبار الناس . وكذلك من سكن الحيرة وجاوروا الأعاجم من عهد أسعد أبى كرب وبخت نصر حووا علم الأعاجم وأخبارهم ، وأيام حمير وسيرها فى البلاد ، وإليهم صار أكثر ما رواه عبيد بن شَرِيَّة[2] ومحمد بن السائب الكلبى[3] والهيثم بن عدى[4] . وكذلك من وقع بالشام من مشايخ سليح وغسان خبير بأخبار الروم وبنى إسرائيل واليونانيين ، ومن وقع بالبحرين من تنوخ وإياد ، فعنه أتت أخبـــار طسَم وجديس ، ومن وقع من ولد نصر بن الأزد بعمان ، فعنه أتى كثير من أخبار السند والهند وشىء من أخبار فارس ، ومن وقع بجبلى طيىء فعنه أتت أخبار آل أذينة والجرامقة ، ومن سكن[5] باليمن فإنه علم أخبار الأمم جميعًا ، لأنه كان فى دار [ص ٣٩ من المخطوط] مملكة حمير ، وفى ظل الملوك السيارة إلى الشرق والغرب والجنوب والشمال ، ولم يكن ملك منهم يغزو إلا عرف البلاد وأهلها ، فالعرب أصحاب حفظ ورواية لخفة الكلام عليهم ورقة ألسنتهم ، لأنهم تحت نطاق فلك البروج الذى ترسمه الشمس بمسيرها ، وتجرى فيه الكواكب السبعة الدالة على جميع الأشياء .

وكان للعرب مع هذا معرفة[6] بأوقات مطالع النجوم ومغاربها ، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة ، لاحتياجهم إلى معرفة ذلك فى أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدرب فى العلوم .

ولأبى حنيفة الدينورى أحمد بن داود اللغوى كتاب شريف فى الأنواء ، تضمن ما كان

---

(١) يريد بهم اليهود والنصارى .

(٢) انظر كتاب التنبيه والإشراف للمسعودى ص ٨٢ وكتاب الفهرست لابن النديم ص ٨٩ .

(٣) عن هذا النسابة المتوفى سنة ١٤٦هـ /٧٦٣م : انظر د . م . أ . ١/٧٣١ .

(٤) توفى سنة ٢٠٦ هـ/٨٢١ م انظر عنه : الفهرست ص ٨٩ والتنبيه والإشراف للمسعودى ص ٨٢ .

(٥) فى بعض المخطوطات الأخرى : ومن كان ساكنًا .

(٦) هذه القطعة رواها ابن العبرى فى تاريخ مختصر الدول ص ١٥٩ .

عند العرب من العلم بالسماء والأنواء ومهاب الرياح[1] وتفصيل الأزمان وغير ذلك من هذا الفن .

فهذا ما كان عند العرب من المعرفة ، وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم اللّه عز وجل شيئًا منه ، ولا هيأ طباعهم للعناية به ، ولا أعلم أحدًا من صميم العرب شهر به إلا أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى ، وأبا محمد الحسن الهمدانى وسيأتى ذكرهما فى موضعه إن شاء اللّه .

وأما بلاد العرب فهى معروفة بجزيرة العرب ، سميت بذلك لأن البحر محيط بها من جهاتها الثلاث التى هى المغرب والجنوب والمشرق ، ففى مغربها خليج جدة والجار وأيلة والقلزم ، والخارج من البحر الكبير بحر الزنج والهند وفى جنوبها بحر عدن وهو البحر الكبير ، وفى شرقها خليج عمان والبحرين والبصرة وأرض فارس والخارج أيضًا من بحر الهند ، وأما شمال جزيرة العرب فأطراف الشام ، وجهات بلادها الجنوبية ما بين الحجر ، وهو بلاد ثمود إلى دومة الجندل وما اتصل بها من البلاد المطلة على السماوة .

وجزيرة العرب أربعة أجزاء كبار ، وهى الحجاز ونجد وتهامة واليمن ، ومسافة الجزيرة فى الطول وذلك بين عدن وبين أطراف الشام نحوًا من أربعين مرحلة ومسافتها فى [ص٤٠ من المخطوط] العرض ، وذلك ما بين بحر أيلة والجار وجدة وبحر العذيب وما اتصل به من ريف العراق نحوًا من خمس وعشرين مرحلة .

فأما اليمن ، وكانت دار قحطان إلى خراب مأرب ، وما اتصل بها من أرض اليمن فى أيام شمر برعش من ملوك حمير ، وفى أيام داود عليه السلام من ملوك بنى إسرائيل ، وفى أيام كيخسرو الثالث من ملوك الطبقة الثالثة من ملوك الفرس ، وكان بعد الطوفان بألفى سنة وستين سنة شمسية ، وكان سبب خراب سد مأرب ما صح به الخبر من الطوفان الصغير الذى طنابه سيل العرم على سد مأرب فخربه وأخسر عمائر مأرب ، وكثيرًا من البلاد ، وكان سكان مأرب الأزد وما والاها ، فلما خربت تفرقوا فى البلاد ، فلحقت الأوس والخزرج وهم الأنصار بيثرب من أرض الحجاز ، وهى مدينة النبى ﷺ

(١) عن هذا المؤرخ النسابة المتوفى سنة ٢٨٢/هـ / ٨٩٥م انظر د .م .أ . الطبعة الفرنسية الأولى ١٠٠٤/١ وصاعد يشير هنا إما إلى كتاب الأرصاد أو كتاب النبات للدينورى هذا .

ووادعة ويحمد وخزام وجديل وملك الحارث وعتيك بعمان وهم أزد عمان ، ولحقت خزاعة بمكة وما حواليها من أرض تهامة ، ولحقت ماسخة وميدعان ولهيب وعامد ويشكر وبارق وعلى بن عثمان وشمران والحجر بن الهند ودوس بالشراة[1] وهو جبل عظيم يقطع بلاد العرب طولا من تلقاء اليمن إلى أطراف الشام ، ولحق مالك بن عثمان بن دوس بالعراق ، ولحقت جفنة وآل محرق بن عمرو بن عامر وقضاعة بالشام ، وفى خروج غير من ذكرنا من العرب من جزيرة العرب من إياد وربيعة إلى الشام وديار ربيعة من أرض الجزيرة أخبار ليس هذا موضع ذكرها ، وقد بينا ما بلغنا منها فى كتاب جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم[2] .

وهذه كانت حال العرب فى الجاهلية فى دياناتها ومساكنها ومعايشها ، وأما حال العرب فى الإسلام فعلى ما نذكره هنا بأوجز ما يمكننا وأخصره ، كانت العرب حين بعث النبى ﷺ قد تفرق ملكها وتشتت أمرها فضم الله شاردها[3] وسكن نافرها وجمع جماعة ممن كان [ص ٤١ من المخطوط] بجزيرة العرب من قحطان وعدنان فآمنوا به وانقادوا إليه ، ورفضوا جميعًا ما كانوا يدينون به من عبادة الأوثان وتعظيم الكواكب ، وأقروا لله تعالى بالتعظيم والتحميد والربوبية والتوحيد ، والتزموا شريعة الإسلام من اعتقاد حدوث[4] العالم وخرابه والبعث والنشور والجزاء ومن العمل بالطاعات والصيام والصلاة والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك من شريعة الإسلام ، ثم لم يلبث رسول الله ﷺ إلا قليلا حتى توفى وخلفه أصحابه أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على صلوات الله عليهم ، فمهدوا البلاد وغلبوا الملوك واحتووا على الممالك ، وبلغت مملكة الإسلام فى أيام عثمان من الجلالة والسعة إلى حيث نبه عليه النبى ﷺ فى قوله : « زويت لى أقاصى الأرض فأريت مشارقها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها »[5] فأباد الله تعالى بدولة الإسلام دولة الفرس بالعراق وخراسان وغيرها من ديار الفرس ، ودولة الروم بالشام ودولة القبط بمصر

---

(١) فى الأصل : بالسراة وهو خطأ ، ومن الممكن أيضًا أن يكون : يالسراة .

(٢) انظر مقدمة الكتاب .

(٣) الأصل : ساورها ولا معنى له .

(٤) فى الأصل : حدث وهو سهو من الناسخ فأصلحته .

(٥) حديث نبوى ، وقال بلاشير فى التعليق على ترجمته الفرنسية (١/٩٨) رواه ابن السكيت فى كتابه التهذيب ١٦٤ .

ونواحيها وجعل الله تعالى بالنبى ﷺ ملك العرب فى عدنان ثم فى عمومة النبى ﷺ وبنى قريش ، حكمًا من الله تعالى ماضيًا وقضاء منه نافذًا وتلك عادته فى الأمم وسنته فى القرون كما قال عز وجل : ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[1] .

وكانت[2] العرب فى صدر الإسلام لا تعنى بشىء من العلم إلا بلغتها ، ومعرفة أحكام شريعتها حاشا صناعة الطب ، فإنها كانت موجودة عند أفراد من العرب ، غير منكرة[3] عند جماهيرهم لحاجة الناس طرًّا إليها ، ولما كان عندهم فى الأثر عن النبى ﷺ فى الحث عليها حيث يقول : « يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحدًا وهو الهرم »[4] .

فكان من الأطباء على عهد النبى ﷺ من العرب الحارث [ص ٤٢ من المخطوط] بن كَلَدَةَ الثقفي[5] ، كان تعلم الطب بفارس واليمن ، وكان يضرب العود ، وبقى إلى أيام معاوية بن أبى سفيان ، وكان منهم ابن أبى رِمْثة[6] التميمى ، وهو الذى قال : « رأيت بين كتفى النبى ﷺ خاتم النبوة فقلت له : إنى طبيب به فدعنى أعالجه فقال : أنت رفيق والطبيب الله » .

وكان منهم ابن الحبر[7] وهو الكتابى طبيب ماهر ، كان فى أيام عمر بن عبد العزيز وكان عمر يبعث إليه بمائة[8] إذا مرض ، وكان منهم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان كان بصيرًا بالطب والكيمياء وله فى الكيمياء رسائل وأشعار بارعة دالة على معرفته وبراعته فيها .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤٠ ، والآية كاملة : ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ .

(٢) قال الأب شيخو فى تعليقاته على طبعته (ص ٢/٤٧) هذا الفصل نقله ابن العبرى فى تاريخه (ص ٢٣٥ – ٢٣٦) ونقله غيره أيضًا كالحاجى خليفة .

(٣) عند ابن العبرى : غير متكورة .

(٤) روى السيوطى هذا الحديث فى كتابه : الجامع الصغير (القاهرة ١٣٢٣) ١/١١٢ .

(٥) انظر عنه ابن القفطى ١٦١ – ١٦٢ وابن أبى أصيبعة ١/١٠٩ ١١٢ ولكليرك ١/٢٩ .

(٦) انظر عنه ابن القفطى ٤٣٦ وابن أبى أصيبعة ١/١١٦ .

(٧) قال بلاشير فى تعليقاته على ترجمته الفرنسية (ص ٣/٩٩) : ربما كان المراد هنا ابن أَيْغَر ؟ انظر عنه ما يرهوف فى كتابه Sitzungsberichte der Preussische Akademie der Wissenschaften, 1930, xi, 737, S.V. وعلامة الاستفهام الواردة هنا وضعها بلاشير .

(٨) الغالب أن المراد هنا مائة دينار .

فهذه كانت حالة العرب في الدولة الأموية ، فلما أزال الله تعالى تلك الدولة بالهاشمية وصرف الملك إليهم ثابت الهمم من غفلتها ، وهبت الفطن من سِنَتِهَا ، فكان أول من عنى منهم بالعلوم الخليفة الثانى أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، فكان رحمه الله – مع براعته فى الفقه وتقدمه فى علم الفلسفة وخاصة فى علم صناعة النجوم كَلِفًا بها ومحبًّا لأهلها[1] .

ثم لما أفضت الخلافة إلى الخليفة السابع منهم عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور تمم ما بدأ به جده المنصور ، فأقبل على طلب العلم فى مواضعه ، واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة[2] فراسل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وأبقراط وجالينوس وأوقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة ، فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم أحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما أمكن ، ثم حض الناس على قراءتها ورغبهم فى تعليمها فنفقت سوق العلم فى زمانه وقامت دولة الحكمة فى عصره [ص ٤٣ من المخطوط] وتنافس أولو النباهة فى العلوم لما كانوا يرون من إحصائه لمنتحليها واختصاصه لمتقلديها ، فكان يخلو بهم ويأنس مناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم فينالون بذلك عنده المنازل الرفيعة والمراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والنسيب فأتقن جماعة من ذوى الفنون والتعلّم فى أيامه كثيرًا من أجزاء الفلسفة وسنوا لمن بعدهم منهاج الطب ومهدوا أصول الأدب حتى كادت الدولة العباسية تضاهى الدولة الرومية أيام اكتمالها وزمان اجتماع شملها ، ثم بدأت تنقص ولتمام ثلثمائة سنة خلت لتاريخ الهجرة منذ اختل الملك وتغلب عليه الفساد والأتراك ، فلم يزل الناس يزهدون فى العلم ويشتغلون عنه بتزاحم الفتن إلى أن كاد العلم يرتفع جملة فى زماننا هذا ، والحمد لله على كل حال .

---

(١) جاء فى ابن العبرى : كان مع براعته فى الفقه كَلِفًا فى علم الفلسفة وخاصة فى علم النجوم وروى حاجى خليفة (٨١/١) مقدما فى علم الفلسفة وخاصة فى النجوم محبًّا لأهلها (من تعليقات الأب شيخو على هذا النص ، ص ٤٨ هامش ٢) .

(٢) روى حاجى خليفة هذه العبارة فى صورة مختلفة بعض الشىء عن عبارة صاعد فقال : بقوة نفسه الشريفة وعلو همته المنيفة .

وإذْ قد ذكرنا هذه المقدمة من أخبار العرب ، فنذكر الآن من عرف من الدولة العباسية من المسلمين عربيا كان أو أعجميًا بشيء من علوم الفلسفة فنقول[1] :

(١) لم يقسم صاعد كتابه إلى أقسام ، بل هو يستمر فى الكلام هنا دون تقسيم ، ولكن الذى وقف هنا ورأى أن ما يلى من الكلام يعتبر قسما ثانيا من كتاب صاعد هو ريجى بلاشير فى ترجمته الفرنسية ، وعنده حق فرأيت أن أتابعه فى هذا التقسيم وأجعل ما يلى من الكلام قسما ثانيا من الكتاب ، وعنه أيضًا أخذت عنوان القسم الثانى .